قلم التذكير ٧

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

العُرُوجُ عليه السلام إلى سَنَامِ القُرآنِ

البَوَاعِثُ وَالعَقَبَاتُ

تأليف

توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي

العروج إلى سنام القرآن

البواعث والعقبات

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ-٢٠٢١م

الصف والتصميم والإخراج:

مؤسسة سلسبيل
للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

حولي- شارع المثنى- مجمع البدري
الدور الأرضي- محل ٢٩
هاتف: ٦٩٦٠٠٤٤٤

العروج
إلى سنام القرآن
البواعث والعقبات

تَأْلِيف

توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي

قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَسَنَامُ القُرْآنِ سُورَةُ البَقَرَةِ»[1].

---

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود في المستدرك (٢٠٦٠)، وحسَّنه الألباني.

المقدمة الأولى

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر:١٧]

* **هل تتصورُ** أنك بعد ثلاثةِ أشهر فقطْ ستكونُ -بإذن الله- حافظًا نصفَ سدسِ القرآنِ الكريمِ تقريبًا... أي جزئين وثلث...، وذلك حين تغدو حافظًا لأعظمِ سورةٍ من سورِ القرآنِ الكريمِ -بعد أُمِّ الكتابِ- وأطولِها وأشملها، وكلُّ سُور القرآنِ الكريمِ عظيمةٌ... إنها سورة البقرةِ، وما أدراكَ ما سورةُ البقرة؟!

* **هل تُصَدِّقُ** أننا جميعًا كبارًا وصغارًا، رجالًا ونساءً، أفرادًا وأسرًا، وجماعات ومجتمعات... قادرون على حِفظِ سورةِ البقرة والعودةِ من هذا المشروع بهذا الكنز الذي لا كنزَ مثلُه.

* **إياك أن تُصغيَ** إلى وساوسِ الشيطان في داخلِك أو من خارجِك، تقولُ لك: أينَ أنتَ من حفظِ سورة البقرة؟! البقرةُ طويلةٌ، والذاكرةُ ضعيفةٌ... المشاغلُ كثيرةٌ... والخطورةُ أن تحفظَها ثم تنساها... وزمنُ الحفظِ قد فاتَ.. والحفظُ في الكِبَرِ مستحيلٌ!

* **هنا أقولُ:** إياك أن تخافَ أو تتخوفَ من الابتداءِ بحفظها، فإنَّ منهج الشيطان هو التخويفُ قبلَ الابتداء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

* **بلْ قلْ:** أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم، وابدأ من فورِكَ، وخُذْ هذا المشروعَ بقوةٍ بيمينك... وسوفَ تَتبخرُ الوساوسُ وتنقشعُ الظُّلْمةُ...

إياكَ أن تنظرَ يائسًا إلى طولِ سورةِ البقرة، أو يُرِيَكَ الشيطانُ بُعْدَ آخرِها وأنت الآن في أولها... فَيَهُولَك الأمرُ! بلِ انظرْ إلى نصفِ الصفحةِ الأولى فقطْ، فهي زادُ حفظِكَ اليومَ، وهل أحسنُ منه زادًا، انظرْ إلى نصفِ الصفحةِ هذا... وكيفَ أنك تضمُّ هذا النورَ كل يومٍ إلى جوفِكَ... إلى صدرِك... إلى قلبِك... إلى فكرِك... فينوِّرك اللهُ بحفظِك نصفَ تلك الصفحةِ من كلامه الكريم... وهلْ ترى أنك سوف تشبعُ منه يومًا؟! وهل ترى أنك سوف تصبر عنه ـ إذا ما حالتِ الدنيا بينكَ وبينه ـ بعد أن تذوَّقتَ لذَّتَه ورأيتَ ثمرتَه؟!

خذْ نصفَ الصفحةِ من كتابِ اللهِ الكريم وأَنِرْ بها صفحةَ يومِكَ هذا... وسيفتحُ اللهُ لك غدًا صفحةَ يومٍ جديدٍ، فاجعلْ في صفحةِ اليومِ الجديدِ نصفَ صفحةٍ جديدةٍ من كتاب اللهِ... هذا على فرضِ اختيارِك نصفَ صفحةٍ لبرنامجِ حفظِك كلَّ يومٍ.

فهلْ أحسنُ من هذا الإعدادِ لعمرك القادمِ الجديدِ إعدادًا... وهلْ أكرمُ من هذهِ النيةِ استعدادًا... وهل من نورٍ تُعِدُّه لظلماتِ المستقبلِ مثلُ هذا النورِ المبينِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤].

وكيف يصدُّك وماذا يعني تخويفُ شياطينِ الإنسِ والجنِّ عن الحفظِ إذا تَجَلَّى لكَ وعدُ اللهِ سبحانه بالتيسيرِ، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢﴾ [القمر: ٢٢].

ثم انظرْ إلى كلِّ ما كُتِبَ من الكتب في حياةِ البشريةِ... فهلْ تَرى كتابًا أيسرَ حفظًا من القرآنِ الكريمِ...؟!

ألا ترى شهادةَ التيسير في الملايينِ من الشباب والشابات يحفظونَ القرآنَ الكريمَ عن ظهرِ قلبٍ...؟!

ألا تَرى الملايينَ من الفتيانِ والفتياتِ يحفظون القرآنَ ولَـمَّـا يبلُغُوا الحلمَ بعدُ؟!

ألا ترى مئاتِ الآلافِ من المدارسِ وربما ملايينَ المدارسِ القرآنيةِ في بلادِ الدنيا.. في المدنِ.. وفي القرى.. وفي الأريافِ.. وفي الجزرِ.. وفي المساجدِ.. وفي البيوتِ وتحتَ ظلالِ الأشجارِ.. وفي الأنديةِ... لتحفيظ القرآن الكريم، وهي تُهْدِي الدنيا كل عام من الحفظةِ ما لا يحُصِيهِ إلا اللهُ سبحانه.

بلْ؛ ألا تَرى إلى مجاميعَ كثيرةٍ من كبارِ السنِّ ومن المتقاعدينَ مِنْ وظائفهم وقد تفرّغُوا لحفظِ القرآنِ الكريم كبارًا وحفظوهُ فعلًا في مراكزِ القرآنِ الكريم، كمركزِ الشيخ موسى الجاروشة ـ بارك الله فيه ـ التابع لمعهدِ الإمامِ الشاطبيِّ في جِدَّة؟!

ثم هلْ تحفظُ هذه البشريةُ شيئًا من مكتوباتها كحفظها القرآنَ الكريمَ؟

بلْ هلْ من شيء مما أنزله الله سبحانه يُحْفَظ كالقرآن الكريم...؟!

فهلْ تَجِدُ سرًّا لهذا الحفظِ الكبير المنقطعِ النظيرِ، غيرَ التيسيرِ الذي كتبه اللهُ سبحانه لكتابه، وكتبه لِمَنْ أرادَ حفظَ كتابِه، صغيرًا كان أَمْ كبيرًا... ذَكَرًا كان أم أُنثى... ألا يكفيكَ هذا شاهدًا على أنكَ والتيسيرَ رفيقانِ لا تفترقانِ إذا ما ابتدأتَ بحفظِ سورةِ البقرةِ المباركة؟

فإذا أخبر اللهُ سبحانه عن تيسيرِ القرآنِ كُلِّهِ، فتيسيرُ بعضِه للحفظِ أَوْلى وأيسرُ عليكَ.

أَبَعْدَ هذا يوجدُ شيءٌ يحولُ بينكَ وبين الابتداءِ بهذا المشروعِ المبارك؟!

نعم تقدَّم شاهِدُ الله بالتيسير أمامَكَ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، فأشْهِرْه في وجهِ كل مَنْ يُعوِّقُكَ عن مشروعك هذا.

فإذا عاودَكَ وَهْمُ التعسير، وأَظْلَمَ الطريقُ ثانيةً أمامَكَ، ظَهَرَ لَكَ نورُ آيةِ التيسيرِ الثانيةِ من سورةِ القمرِ، ثم تظهرُ لك آيةُ التيسيرِ الثالثة بنورها العظيم.. ثم الرابعة.. فتلتفتُ فإذا التيسير يحيطُ بك من الجهاتِ الأربعِ، وإذا النورُ قد مَلَأَ كل شيء... فلم يَعُدْ لك من خيارٍ إلا التيسير، ففي الآية السابعة عشرة في سورة القمر قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

وفي الآية الثانية والعشرينَ قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: ٢٢]. وفي الآية الثانية والثلاثين قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ [القمر: ٣٢].

وفي الآية الأربعين قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ [القمر: ٤٠].

فاللهم لا سهلَ إلا ما جعلتَه سهلًا، وأنت ـ سبحانك ـ تجعل الحَزْنَ إذا شئت سهلًا.

المقدمةُ الثانيةُ

يا ربّ: تاقتْ نفسي...

يا ربّ... تاقتْ نفسِي منذ زمنٍ بعيد إلى حفظِ سورة البقرةِ خاصةً... وها هي الآنَ تعودُ أشدَّ اشتياقًا واشتعالًا... فيا ربّ أَعِنِّي على إتقانِ حفظِها... حتى تكونَ عندي كفاتحةِ الكتابِ رسوخًا وإتقانًا وإحسانًا.

يا ربّ... كتابُكَ كلُّه عظيمٌ وكريمٌ... ولهذهِ السورةِ على وجهِ الخصوصِ من بينِ السورِ الطوالِ الكريمةِ كلِّها من شدة اجتذابِ القلبِ والعقلِ والروحِ ما لا يملكُ الإنسانُ وصفَه ولا يعرفُ سَبَبَهُ... وكلُّ عبادِك يشهدونَ بهذا... فلولاكَ يا ربّ العالمينَ ما كان انصرافُ القلبِ نحوَ سورةِ البقرة، فاللهمَّ لكَ الحمدُ على أن صرّفتَ قلوبَنَا إلى ما هو أحبُّ إليك.

يا ربّ... إنك تعلمُ أَنِّي لا أقدرُ على حفظِها دَفعةً واحدةً... اللهم إلا شيئًا فشيئًا.. فاللهمّ بما علمتَ مِن اشتياقي لإتمامِ حفظِها يومًا من الأيام، وما علمتَ من تعلُّقِ قلبي بيوم التمامِ والختام لهذهِ السورةِ المباركةِ العظيمةِ، وأَنِّي يا ربّ كلَّما حفظتُ نصفَ صفحةٍ ضممته إلى صدري، وضممتُ عليه قلبي، وتطلَّعتُ بعدهُ ليومِ التمام.. فاللهم عاملني كلَّ يومٍ بأجرِ سورةِ البقرةِ كاملةً، وهبْ لِي ما وعدتَّ به من قرأ سورةَ البقرةِ كاملةً، من حياةٍ وحفظٍ وحصنٍ وبركةٍ وهدايةٍ وعزٍّ وتمكين.. وأعطني على كلِّ آيةٍ أحفظُها أَجْرَ سورةِ البقرة كاملًا... وذلك بفضلك وجودك وكرمك..

يا ربّ... عاملْنا على هذا بكرمك وأنت ربُّنا الأكرمُ، يا ربّ أَلَمْ تربطْ قراءةَ القرآنِ بالإكرام، فقلتَ في أوَّلِ ما أنزلتَ من هذا القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ٣]... هكذا كان وعدُك الحقُّ في الابتداءِ ونحنُ يا ربّ اليومَ في الابتداء.

يا ربّ... إنك تعلمُ أننا ونحنُ نحفظُ المقرَّرَ حفظه كلَّ يوم أننا إنما نريدُ حفظَ سورةِ البقرةِ كاملةً... هذهِ هي نياتنا... ونحن كلَّ يومٍ نُصَدِّقُهَا بترسيخِ الحفظِ والمحافظةِ عليه، وكل يوم نُصَدِّقُهَا بالمزيد عليه... فاللهم عاملْنا على نياتِنا، وأعطِنا اليومَ كلَّ غاياتنا، وزدنا من فضلك..

ألم يقل رسولُك ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ**»[(١)]، ألم تجعلْ لمن نوى من غير أن يعمل أجر من نوى وعمل، بينما قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهم راجعون من غزوة تبوك: (إنَّ بالمدينةِ رجالًا ما قطعتم واديًا، ولَا سلَكتم طريقًا، إلَّا شَرَكُوكُم في الأجرِ، حبسَهمُ العذر) [(٢)].

يا رب... إن إكرامك لِعبادكَ بلغ أن أدخلت الجنة برحمتِك رجلًا محاربًا لك ولرسولك ﷺ وقاتِلًا للمسلمين، ولم يسجدْ لكَ ربي سجدةً واحدةً حينَ جاء أَجَلُهُ[(٣)].. ونحن يا رب عرجْنا إليك في معراج الحفظ آيات كريمات.. ولكلِّ آيةٍ معراجُها... أليستْ سورةُ البقرةِ «**سنامَ القرآنِ**» كما قال رسولك ﷺ.

يا ربّ... ها نحنُ تعاهدْنا على حفظِ سورةِ البقرةِ استجابةً لأمرِ رسولِك

---

(١) متفق عليه عن عمر بن الخطاب صحيح البخاري حديث رقم (١)، صحيح مسلم حديث رقم (١٩٠٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٧٦٥)، وصحَّحه الألباني.

(٣) هذا المعنى رواه البخاري في حديث رقم (٢٨٠٨) عن البراء بن عازب.

ﷺ... سمعًا وطاعةً له الذي قال: «**اقرؤوا سورة البقرة**»[١]، وأعلى درجاتِ القراءةِ عن ظهرِ قلبٍ... اللهمَّ فعاملْنا على الغايةِ في كلِّ يومٍ حتى ندركَها.. وعاملْنا على الغايةِ حتى لو قَطَعَنَا عنها قاطعُ الموتِ، فإنَّ عزمَنا على حفظِها لن ينقطعَ، وأنتَ عضدُنا، وأنت نصيرُنا، وحُداؤُنا في هذا الطريقِ ما قال موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠].

يا ربّ... قد أَمدَّ رسولُك ﷺ المسلمينَ في معركةِ بدرٍ مَدَدًا، وانتهت المعركةُ قبلَ أن يصلَ المددُ، وغَنِمَ المسلمونَ الغنائمَ فاختلفوا، فقال المددُ: إنما خرجْنا لأجلكم، وقال المجاهدونَ: إنما غَنِمْنا قبلَ وصولِكم، فقال النبيُّ ﷺ: «**أعطوهم من الغنائم، فإنما خرجوا لأجلكم وَهُزِمَ العدوُّ لأجلهم**»[٢]... فأعطاهم من الغنيمةِ كاملةً كمن حَضَرَ.. فأعطِنا يا ربنا أَجر مَنْ قرأَ سورةَ البقرة كاملةً كلَّ يومٍ، إلى أن نَحفظها كاملة، بعونك وفضلك العظيم.

يا ربّ... روَى أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ رَاحَ فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا أَعْطَاهُ اللهُ -جَلَّ وَعَزَّ- مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صَلَّاهَا وَحَضَرَهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا**»[٣]، فهذا رجلٌ جاءَ بيتَك وقد فاتتْهُ صلاةُ الجماعةِ كاملةً فَلَمْ تحرمْه أَجْرَها لأنه يريدُها، بل أعطيتَه الأجرَ كاملًا كَمَنْ حَضَرَها كاملة.

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤) عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) سيأتي معنا تخريجه إن شاء الله.

(٣) رواه أبو داود (٥٦٤)، وصحَّحه الألباني.

وها نحن قد انطلقْنا يا ربّ... فهبْ لنا منك أجرَ السورةِ كَمَنْ حَفِظَها كاملة... فإننا يا ربّ في الطريقِ قادمون.

يا ربّ... مَن رَابَطَ لأجلِ الجهادِ في سبيلِك وماتَ مرابطًا ولم يجاهِدْ فقد أعطيته أجرهَ كاملًا، وأجريتَ له أجرَه إلى يومِ القيامةِ، فيا ربّ أَقِرَّ أعينَنَا بحفظِ سورةِ البقرةِ كاملةً... وأَطِلْ أعمارَنا على طاعتِك مع العافيةِ والمعافاةِ الدائمةِ في الدينِ والدنيا والآخرةِ، وأَتمِمْ علينا نعمتَك الكبرى بعد ذلك، بحفظِ كتابِك الكريم كاملًا... وأَقرَّ أعينَنَا برؤية أمة نبيك محمد ﷺ، وهي تعود إلى القرآن عودًا كريمًا، وأَذِق الخلقَ جميعًا خيرَ القرآنِ وبركتَه وهُدَاهُ، ومَتِّعْهم بالوعدِ الحقِّ حيثُ تُنزَّلُ عليهم بركات السماءِ، وتُخرجُ لهم بركاتُ الأرضِ، ويعيشون عيشًا لم يعشْه أحدٌ قطْ.

يا ربّ... إنك تعلمُ أن غايتي أن أحوزَ الخيريةَ عندكَ، وما أردتُ حفظَ سورةِ البقرةِ تفاخرًا ورئاءَ الناسِ، ولا أردتُّها مجردَ زيادةِ معلوماتٍ ولا محفوظاتٍ، إنما أريدُ أن أحفظَها وأحوزَ الخيريةَ الأولى بحفظها، وأن أحوزَ الخيريةَ الثانيةَ بأن أُحفِّظها وأعلِّمها الآخرينَ، تحقيقًا لما قال المصطفى ﷺ: «**خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه**»[(١)]، يا ربّ... أوليست هذهِ سورة البقرة التي هي أعظم سُوَر القرآنِ العظيم، وأَكبرُها وأطولها، وأكثرُها آياتٍ وكلماتٍ، وأكثرها أحرُفًا، وأوسعُها علومًا بعد أمِّ الكتاب، فامننْ عليّ يا ربّي بحفظها، وامننْ عَلَيَّ كذلكَ بأن أُحفِّظَها الآخرينَ، كما مننتَ عليَّ بحفظِها، ثم أَمَلَي يا ربّ بالقرآنِ كلِّه، وطَمَعَي يا ربيّ بكَ وحدك لا ينقطعُ أبدًا.

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن عن عثمان.

الفصل الأول

بواعث الحَافِظِين

سَنَام القرآن

الفصل الأول

الباعثُ الأوَّلُ لصُحبةِ[١] سورةِ البقرةِ:

تَصْبِغُ أصحابَهَا بِصِبْغَتِهَا، وتعرجُ بهم إلى مَقَاماتِها

إنَّ الحقيقةَ التي سوفَ تنتهي لها عندما يهديك اللهُ سبحانه للقرآنِ العظيمِ هي أَنَّ سورةَ البقرةِ هي أُمّ الخصائصِ، فلولا مقصدُ تسهيلِ الكتابِ لجعلنا كلَّ النقاطِ الموجودةِ داخلةً في هذه النقطة.. هاتِ كلَّ خصائصِ السورةِ الكريمةِ العظيمةِ واصبغْ بها بَشَرًا.. يظهرُ لك أصحابُ سورةِ البقرة... وإن شئتَ قلت تظهرُ لك هذه السورةُ في صورةِ بشرٍ.. وإلا لِمَ سُمِّيَ هؤلاءِ أصحابُها، وأهلُها؟

وهل يمكنُ أن يكون صاحبها وهو لا يحفظها... وإذا كان صاحبَها بكثرةِ قراءتها فهل يمكنُ أن يكونَ مثلَ حافِظِها؟ أوليستْ الملازمةُ هي عنوانُ الصحبةِ؟ وإلا كيفَ تكونُ صحبةٌ من غير ملازمة؟ فهل صحبةُ من أَصبَحَتْ سورة البقرةِ جزءًا من كيانه بضمِّها إلى صدرِهِ كصحبة مَن قرأها ومضى؟ لذلك يقالُ حَفِظَهَا عن ظهرِ قلبٍ... والقلبُ أكرم وأعظمُ ما في كيان الإنسانِ، لذا قال ربُّ العالمين سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]، والأصحابُ إذا استووا في العلمِ والعملِ والإيمانِ رُفِع

(١) قلنا «لصحبة» لورود هذه الكلمة عن رسول الله ﷺ والمقصود حفظها، ثم إن الصحبة أوسع معنى من الحفظ وأشمل.

الحافظُ وارتقى، وعَرَجَ عنهم في درجات الجنانِ، حينما يدخلُها الجميعُ كما سيمرُّ معنا في الحديثِ بإذنِ اللهِ...

وأعودُ لأؤكد بأَنَّ حفظَ سورةِ البقرةِ أمرٌ عظيم، وحافظَها أمرُه عند الله عظيمٌ، وإلا فهل مرَّ عليك أمرُ النبي ﷺ الصريحُ بقراءة سورةٍ في كل وقت إلا سورة البقرة، فقال ﷺ: «**اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»(١).

وهلْ يأمرُ بها النبيُّ ﷺ إلا لأمرِ مَنْ أنزلها سبحانه؟ لما جَعَلَ فيها سبحانه من سعادةٍ للعبدِ، وللأمةِ كذلك!

وهل مرَّ عليك تحذيرٌ مِنْ تركِ سورةٍ منْ سُوَرِ القرآنِ وَوَعْدُ اللهِ على تركها بالحسرة، إلا سورةَ البقرة؟!

وهل يقولُ: «**اقرؤوا**» إلا لأن القراءةَ طريقُ الحفظِ، وتُفْضي إلى الحفظِ، وأن الحفظَ عن ظهرِ قلبٍ هو أعلى درجاتِ القراءةِ، وقوله «اقرؤوا» تقال لمن يعرف القراءة ومن لا يعرف، فهي بمعنى (احفظوا) احفظوا عن ظهر قلب درجة أعلى.

وإنها لسورة -والله- عظيمة، وإن أصحاب سورة البقرة لَيَعْظُمُونَ بعَظَمتها، إنها أعظم سورِ القرآنِ معنىً بعدَ فاتحةِ الكتابِ، والقرآن كله عظيم وإنها أطولُ سورِ القرآن حَجْمًا وأكثرُها عِلْمًا وأحكامًا وأمورًا أخرى عظيمة لا أحبّ تعدادَها، لئلا تُفضي المقارنةُ إلى الجرأةِ على بقيةِ سورِ القرآنِ الكريمِ.

ومِنْ عظمتها أنها تحملُ أعظمَ آيةٍ في كتابِ الله وهي آيةُ الكرسيِّ... فلقد قال

(١) صحيح مسلم (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي.

رسولُ الله ﷺ لأُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه: «**يا أبا المنذِر! أتدري أيَّ آيةٍ من كتاب اللهِ معك أعظمُ؟**، قال: قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: **يا أبا المنذِر! أتدري أيَّ آيةٍ من كتاب اللهِ معك أعظمُ؟** قال قلتُ: اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ. قال: فَضَرَبَ في صدري وقال: **واللهِ! لِيَهْنِك العلمُ أبا المنذِرِ**»(١).

ومن عظمتها أَنَّ فيها الكنزَ المخصوصَ: الذي ادَّخره الله تعالى لأمة محمد ﷺ وهو آخرُ آيتينِ منها وخواتيمُها، فقد قال النبي ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَلَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي**»(٢).

ومن عظمتها أنها تحملُ خارطةَ سير البشريةِ كلِّها، وتحملُ خارطة الصراع ما بين الحقِّ والباطلِ، منذُ أمرَ الله سبحانه الخلقَ بالسجود لآدم لأنه الخليفةُ الأولُ وحتى «خليفةُ اللهِ» في الأرضِ الذي يكونُ في آخرِ الأمةِ، والذي لا يحملُ أحدٌ سواهُ هذا اللقبَ العظيمَ، ولا خليفةَ بعده، وإنما عيسى عليه السلام امتدادٌ له، وهو أحدُ جندِه وقادتِه، ولا يتقدمُ للإمامةِ والحكمِ حتى يذهبَ ذلك الخليفة.. وكلُّ ما بينَ الوالدِ وهو الخليفةُ الأولُ ـ آدم عليه السلام ـ وبينَ الخليفة الأخير وهو «المهديّ» موجودٌ في سورة البقرة، ولذا كان دعاؤُها الأخير هو نصر الأمة الأخير، والذي ختم بـ ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد صَحَّ في الحديثِ أن الله سبحانه قال: «**قد فعلتُ**»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٨١٠).

(٢) رواه أحمد عن أبي ذر الغفاري (٢١٥٦٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٥٣٤ - ٦٥٣٥) بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قرأ رسول الله: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله: (قد نصرتكم عليهم).

وما ذكرتُ هذهِ الخصائصَ حصرًا بل لأنها بعضُ الخصائصِ الذاتيةِ، وأمَّا فضلُها فهذا أمرٌ عظيمٌ سوف يأتي بمشيئة الله وعونهِ.

ولكنْ كلُّ الفضائلِ التي سوف تأتي، وكلُّ الخصائصِ التي ذكرناها، والتي لم نذكرْها، وهي أكثرُ بكثير مما ذكرنا؛ كلها ستكونُ مجتمعةً في شخصِ من يحملُ سورةَ البقرةِ، فمن يحملُ السورةَ يحملُ خصائصَها، حتى لو لم يكنْ يعلمُها، فالنبي ﷺ قال: «**رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ ليس بفَقِيهٍ، رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَن هو أَفْقَهُ منه**»(١) فحاملُ سورةِ البقرة يحملُ الخيرَ كلَّه، والعلمَ كلَّه، والفضلَ كلَّه، والعظمةَ كلَّها، حتى لو لم يعلمْ، لأنه مؤمن بالغيب بما فيها، وكم من حامل لسورة البقرةِ العظيمةِ المباركةِ لم يكنْ من أهلِها، فجذبتْه إلى الخصائصِ العُظْمَى، فإذا به من أهلِها، أليسَ «**أخذُها بركة**» كما قال المصطفى ﷺ؟ فإذا لم تبارِك صاحبَها فأيّ شيء تُبارِك؟!.

ومَنْ أَوْلَى مِن صاحبِها بتلك العظمةِ؟.

إذا أردتَّ أن تفهَمَ ماذا تضيفُ سورةُ البقرةِ لِمَنْ يحفظُها، فعليك أن تصبغَ صاحبَها بكلِّ صبغة فضل وعَظَمَةٍ وبركةٍ وعلمٍ وإمامةٍ في هذهِ السورةِ وتجعلَها على حافظِها، ألمْ يقل اللهُ عن خاصةٍ مخصوصةٍ من بين خلقه: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ [المائدة: ٦٣].. ألمْ تقلْ عائشة رضي الله عنها لِمَنْ سألَها عن خُلُقِ النبي ﷺ فقالت له: «ألستَ تقرأ القرآنَ؟ قال: بلى. قالت: فإنَّ خُلُقَ نبيِّ اللهِ ﷺ كان القرآنَ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٩٠) عن زيد بن ثابت مرفوعًا، وصححه الألباني.

(٢) صحيح مسلم (٧٤٦).

فإذا قُلتَ: رُبَّ حافظ لسورة البقرة لا يعمل بها، ولا يتأدَّب بأدبها!

فإني أقولُ: وكمْ مِن حافظٍ للقرآنِ لا يعمل به، ولا يتأدب بآدابه، والقرآنُ حجةٌ على هؤلاءِ، وهو يدفعُ بهم إلى النار، ويكونُ حجةً عليهم في الدنيا والآخرة، وما من أحدٍ منهم أصرّ على طريق الشرِّ ومعه سورةُ البقرةِ أو معه القرآنُ الكريمُ إلا فَضَحَه الله، وذلك دِفاعًا عن كتابه الكريم، وهو ما جعلَهُ اللهُ في القرآنِ نفسه من أنه يفضحُ مَنْ أرادَ به سوءًا.

فأيُّ عَظَمَةٍ على مخلوقٍ أعظمُ من أن يُحلَّى بعظمةِ سورةِ البقرةِ؟ تلك السورة المباركةُ الكريمةُ العظيمةُ العليمةُ الحكيمةُ الجامعةُ المانعةُ الشاملةُ الكاملةُ... واذهبْ إلى كلِّ كمالٍ واجعلْه على حافِظِها... وسوف ترفعُ حافظَها إلى ذلك، وإن بدا لك ثقيلًا إلى الأرضِ، فكتاب الله يعلو به، والله يقولُ عن المنافقِ الذي انسلخَ من آيات الله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف:١٧٥، ١٧٦]، ولكنْ أن يكرمَ اللهُ سبحانه المؤمنَ بآياتِ اللهِ فذلكَ أَوْلَى من هُوِيّ المنافقِ وانسلاخِه، لأن إكرامَ اللهِ مقدمٌ على عقابِه، ولأَنَّ الإكرامَ بالقرآنِ أصلٌ ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾ [العلق: ٣].

الباعث الثاني لصحبة سورة البقرة:

أصحابُها في الطريق الأقرب لأن يكونوا مِن أهلِ اللهِ وخاصّتِه

قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ للهِ أَهلِينَ من الناسِ، قيل: مَنْ هُمْ يا رسولَ اللهِ؟ قال: أهلُ القرآنِ هم أهلُ اللهِ وخاصتُه**»(١).

فهلْ نَعرِفُ لم اختُصَّ أهلُ القرآنِ بهذا الاختصاصِ العظيمِ المتناهي في العظمةِ... الذي لو لم يقلْه الله سبحانه ما تَجَرَّأَ مخلوقٌ على قوله..

والجوابُ: أنهم لما خَصُّوا كلام الله سبحانه بهذهِ الخُصوصيَّةِ، اختصَّهم الله بهذا الاخْتِصَاصِ، والسرُّ هو كلامُه سبحانه... علاقتُهم بكلامِهِ الكريم سبحانه... كيفَ أخذُوهُ.. وأينَ جعلوه؟!

فما أَعلى وما أعمقَ أن يصبحَ كلامُ اللهِ جزءًا من كيانِ العبدِ... وما أجملَ أن تجعلَ سورةَ البقرةِ في جوفِك أنتَ... إن قمتَ فهي مَعَكَ... وإنْ قعدتَ فهي معكَ... تتقلبُ في الحياةِ وهي معكَ في تقلبِكَ... هي معك في وحدتِك.. في منامِك.. في يقظتِك، في حياتِك.. عند مماتِك، في قبرِك.. عند بعثِك، عند وقوفك بين يديْ ربِّك.. عندَ وزنِ أعمالِك.. عند المسيرِ على الصراطِ.. عند كلِّ موقفٍ من مواقفِ الآخرةِ.. وعند دخولِ الجنةِ...

---

(١) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (١٢٢٩٢)، وحسَّنه الأرنؤوط، والطيالسي في المسند (٢٢٣٨)، والنسائي في السّنن الكبرى (٧٩٧٧) وغيرهم.. وصحَّحه الألباني.

وهل ادَّخرَ المدخِّرون شيئًا مثلَ القرآنِ لذلك اليومِ العبوسِ القَمْطَرِير؟

فحِفظُ القرآنِ أو حفظُ سورةِ البقرةِ ما جَاءَ بضربةِ حظٍّ، وإنَّمَا بجهدٍ جَهِيدٍ، وحرصٍ شديدٍ، وقبل ذلكَ بنيةٍ صادقةٍ، وتضحيةٍ بأمورٍ أُخرى، وهذا يعني أن العبدَ قد غيَّرَ برنامجَ حياتِه لأجلِ القرآنِ... وأنه قد اختارَ كلامَ ربِّه على ما سواهُ من الكلامِ، أي اختار الله سبحانه، ورَضِيَ به عن من سواهُ من خلقه... فهل يَدَعُ اللهُ من اختارَهُ هو من دونِ الناسِ؟ بلْ من دونِ أهلِهِ وخاصتهِ؟!

ولأن اللهَ سبحانه مَعَ مَنْ ناجاهُ، وجليسُ من ذَكَرَهُ، فإن من اختَار برنامجَ حفظِ القرآنِ وحفظ سورة البقرة ولازمهُ، فإنَّما اختارَ مجالسةَ ربه سبحانه... وما جزاء من اختارَ ربَّه على من سواه إلا أن يخصَّه الله بأَخَصِّ خصوصيةٍ يعرفها البشر ويفهمونها وهي: الأهل.

ولذا كانَ «**أهلُ القرآنِ هم أهلُ الله وخاصته**»(١)، فإذا رجعتَ إلى القرآنِ الكريم كله، فلن تجدَ سورةً تحتاجُ إلى برنامجٍ أطولَ في حفظها، وتحتاجُ إلى صحبةٍ وخصوصيةٍ في العلاقةِ مثلَ سورةِ البقرةِ، لذا كان النداءُ بها بعْدَ النداءِ بالقرآنِ كله في إعادة الذينَ لم يَثْبُتُوا في غزوةِ حُنَينٍ، فلقد رأى رسول الله ﷺ في أصحابِهِ تأخُّرًا يوم حنين، فأمر العباس أن ينادي فيهم ـ وكان رجلًا صيتًا ـ فنادى: «**يا أصحابَ سورةِ البقرةِ**»، وفي رواية: «**يا أصحاب السمرة**» يعني: الشجرة، وهم أَهْل بيعةِ الرِّضوانِ، يُنَشِّطُهم بذلِكَ، فجعلوا يُقبِلونَ عليه من كلِّ وجهٍ(٢).

(١) رواه ابن ماجه (٢١٥) وأحمد (١٢٢٩٢) عن أنس، وصححه الألباني.

(٢) عمدة التفسير (١/ ٧٤)، وصحَّحه أحمد شاكر في المقدمة، ورواه الطبراني في المعجم في المعجم الكبير (٣٢٨) عن عتبة بن فرقد.

فإذَا اخْتارَكَ اللهُ سبحانه لحفظِ كلامهِ الكريم، واصطفاكَ لهذا فلتعْلَم أنَّ جزاءَ حِفْظِكَ الحفظُ من الله... فَحَافِظُ سورةِ البقرة محفوظٌ... أَلَا تَرى كَيفَ يحفظُ الله سبحانه بيوتَ من حفظوا سورةَ البقرةِ من الشياطينِ؟ وسَيَمُرُّ معنا هذا بإذن الله تعالى.

ألا ترى كيف يحفظُ اللهُ ذاكرةَ من حَفِظَ القرآنَ؟ فالشيخُ الطاعنُ في السِّنِّ والذي أصابَ أقرانَه الخَرَفُ تجدُه يقرأ القرآنَ صحيحًا، ويصحِّحُ لِمَنْ يُخْطِئُ، وربما نَسِيَ كلَّ شيءٍ من ذكرياته غيرَ القرآنِ الكريمِ.

أَلَا تَرَى كيفَ حَفِظَ القرآنُ من حَفِظَهُ وحَفَّظَهُ، وتعلّمه وعلّمه؟.

حَفِظه في ولدِه، وحفظَه في رزقِه، وحفظَه من عدوّه، وحفظَه في عقبِه، وحفظَه في سيرتِه في الآخِرِينَ من بعدِه.

وأخيرًا... فهلْ من سورةٍ بعدَ (أمّ الكتاب)، يكونُ لحفظِها مِنَ الأثرِ والحفظِ مثلُ سورةِ البقرةِ...؟

إنّها السورة التي تجعلُ العبدَ وأهلَه وبيتَه أبعدَ ما يكونونَ من الشيطانِ ـ نعوذُ باللهِ منه ـ كما تجعلُه وأهلَه وبيتَه أخصَّ وأقربَ ما يكونُ من اللهِ سبحانه...

فعنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»(١)، وفي رواية أُخرى: «**وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ**»(٢).

فكمْ لحافظِ سورةِ البقرةِ من نصيبٍ في أنه «مِنْ أَهْلِ اللهِ وخاصته»، ولسوفَ

(١) صحيح مسلم (٧٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٨٩١٥)، وصحَّحه الألباني.

نَعلمُ -بإذنِ اللهِ تعالى- بعد إتمامِ هذا الفصلِ كمْ من خصوصيةٍ سوفَ يحوزُها حافظُ سورةِ البقرةِ بحفظِه لها، وكم للأمةِ من خصوصيةٍ إنْ هِيَ أخذتْ بها، وإن خصوصيةَ الأمة وسرَّ نصرِها وإحيائِها في السورةِ كلِّها عامة وفي خواتيمها خاصّة.

عن ابن عباس رضي الله عنه ما قال: **بينما جبريلُ قاعدٌ عندَ النبيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»**[1].

(١) رواه مسلم (٨٠٦).

الباعث الثالث لصحبة سورة البقرة:

سورة البقرة؛ من جوف المصحف الطاهر..

إلى جوفك ليصبح طاهراً

كل من يقرأ القرآن من المصحفِ ولم يقرأْ من حفظِه إنَّمَا يَقرأُ شيئًا يتلقاه من خارجِه.. فالكتابةُ والمكتوبُ خارجُ ذاتِ القارئِ؟... فهو إن قرأَ القرآنَ الكريمَ فإنَّما يقرأُ من الخارجِ... بَيْنَما الذي يقرأُ مِن حفظِهِ يقرأُ ـ كما في الحديثِ ـ مِنْ «**جَوْفه**»... من داخِله... فهو كَمَنْ نَقَشَ كلامَ اللهِ على صفحةِ قلبِه بنورِ كلامِ ربِّهِ سبحانه... وهو مِن هناكَ يقرأُ... مِن محفوظاتِهِ التي هِيَ الآنَ منه ولم تكن كذلكَ من قبلُ، فإذا قرأَ أخرجَ القرآنَ الكريمَ من هناكَ حيثُ الموضعُ المخصوصُ لها في كيانه، حيثُ لا يعلمُ إلا اللهُ ﷻ، يخرجُ ما يشاء من القرآنِ الكريمِ من جوفِه مع نَفَسِهِ، مِن صدره، من رِئَتَيه، مع شهيقه وزفيرِه، بلْ مع حركة قلبِه، كما قال النبي ﷺ: «**في جَوْفه**»، وإنها أدقُّ وأشملُ.

فعنِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إن الذي ليسَ في جوفِه شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الخَرِبِ**»[1] فتأملْ كمْ هو جميلٌ الوحيُ الذي نَطَقَ به رسولُ الله ﷺ، إنها جوامعُ الكلمِ التي آتاه الله والوحي الذي ينطقُ به ﷺ وهو قوله: «**في جوفه**»، فَمَنْ حفِظَ شيئًا من القرآنِ فقد جَعَلَه «**في جوفِه**».. فإذا قرأ القرآنَ الذي

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٣)، وأحمد (١٩٤٧)، وصححه أحمد شاكر.

حفظَه فقد أخرجَهُ «**من جوفه**» ولم يخرجْه مِن صحيفةٍ كريمةٍ ولا مصحفٍ كريمٍ.. وبهذا انتقلتِ الكرامةُ إلى «**جوفِه**» وانتقلَ النورُ إلى «**جوفِه**».. وانتقلَ كلُّ خيرٍ إلى ذاتِه الداخليةِ، حتى قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَامَ الْـمَلَكُ خَلْفَهُ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ، فَلَا يَزَالُ عَجَبُهُ بِالْقُرْآنِ يُدْنِيهِ مِنْهُ، حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْـمَلَكِ، فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ**»(١).

سبحانَ اللهِ؛ مِنْ جوفِك إلى جوفِ المَلَكِ؟!

فأيّ صورةٍ مثلُ هذه الصورةِ العظيمة الكريمةِ؛ المؤمنُ قائمُ الليلِ يُصَلِّي، والملَكُ خلْفه يريدُ أن يتقدمَ إليه ويقتربَ... يريدُ أن يأتيه مِن أمامِه... يريدُ أن يبلغَ من القربِ منه أن يضعَ فاه على فَمِ القارئ للقرآن، حتى لا يخرجَ من جوفه شيءٌ من القرآنِ إلا دَخَلَ في جوفِ الملَك... لكن الذي يمنعُ الملَكَ من هذا الاقترابِ هو رائحةُ الفمِ الكريهةِ للعبدِ... فالملائكةُ تنفرُ من الرائحةِ الكريهةِ.. فإذا ما اسْتَاكَ العبدُ وجاءَ إلى صلاتِه أقبلَ عليه الملَكُ واقترَبَ منه واقترَبَ حتى يضعَ فاهُ على فيهِ... وكرامةً لهذا الرجلِ الحافظِ فإنَّ المسألةَ تنعكسُ فيصبحُ الملَكُ هو المتَلَقِّي من العبدِ القائمِ بين يديْ ربه سبحانه... والعبدُ هو الملَقِّي وكأَنَّه هو مَن يُوحِي إلى الملَكِ... إنهُ القرآنُ بين يدي الرحمنِ ﷻ.

فإن قلتَ: إنَّ قارئَ القرآنِ يَصْدُقُ على مَن قَرأَ من المصحفِ ومَنْ قَرأَ من حفظِهِ... فلوْ أنَّ الإمامَ قرأ من مصحفٍ لَصَدَقَ عليه هذا الفضلُ.

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (١٢٢٥)، أخرجه البزار في مسنده (٦٠٣)، وقال الألباني: حسن صحيح في صحيح الترغيب والترهيب.

كان الجوابُ: نعمْ وفي كلٍّ خيرٌ، ولكنَّ الإمامَة بالقراءةِ بالمصحفِ لمْ تُعرفْ في عهد النبيِّ ﷺ وأصحابِهِ، رضوانُ اللهِ عليهم - ثم إنه ورد في الحديثِ الآخرِ «**في جوفِه**» فالقرآنُ يخرُجُ من جَوْفِهِ... أيْ مِنْ داخلِهِ.. مِن حفظِه، وإن كان مرور القراءةِ لابدَّ أن يكونَ «مِن فيهِ» فإنَّ الفَمَ هو المَعْبَرُ الذي لا مَعْبَرَ سِواهُ من الجوف إلى الخارج، ولذا نُسِبَتِ القراءةُ له، فهذهِ خصوصيةٌ لِمَنْ يقرأُ «**من جوفِه**» لا من مصحفِه أو هاتفِه..

ثُمَّ إنَّ الذي يناسبُ ويقابلُ كونَ القراءةِ تدخلُ جوفَ الملَكِ.. هو أنها تخرجُ من جوفِ العبدِ الذي جعلَ القرآنَ الكريمَ كلَّه أو بعضَه في جوفِهِ، فكان دخولُها جوفَ الملكِ من قَبيلِ (الجزاءُ من جنسِ العملِ)، ولا يَعني هذا منقصةً لمن يقرأُ القرآنَ من المصحفِ... فهذا له فضلُه وذاك له فضلُه، وكلٌّ فضلٍ للقارئِ يحوزُهُ الحافظُ مع مَا لَهُ من فضائلَ أُخْرى، وكلًّا وعَدَ اللهُ الحسنى.

ثُمَّ إن من تعلَّم وتعلَّم، وكررَّ الآياتِ، وسَهِرَ حتى حفظَ القرآنَ، آيةً إثر آيةٍ، حتى أَتَمَّ حفظه، أو حَفِظَ سورة البقرة حتى أتمَّها، لم يكنِ اللهُ ـ سبحانه ـ ليضيعَ جهدَه هذا كله... أو يأتي غيرُه ممن لم يبلغ جُهدَه فيبلغُ أجرَه.

ولَـمَّا كان النظر في المصحف عبادة... استُحب للإنسان أن ينظرَ أحيانًا في المصحفِ الكريم قارئًا بعضَ آياتٍ من كتابِ اللهِ تحقيقًا لهذه العبادة الكريمة وهي عبادة النظر في القرآن.

فكمْ من الفضلِ والخصوصيةِ والكرامةِ عندَ اللهِ وعندَ ملائكتِهِ الكرامِ الكاتبينَ وملائكتِه المصاحبينَ لحافظِ سورةِ البقرةِ.. إِذْ هو يقومُ بين يدي اللهِ، فيُخرجُ كلامَهُ الكريمَ لأعظمِ سورةٍ في القرآنِ وهي الفاتحةُ وبعدَها سورةُ البقرةِ

مِنْ جوفهِ إلى جوفِ المَلَكِ.. هَكَذَا كلَّ ليلةٍ إلى أن تنقضيَ حياتهُ المباركةُ الكبيرة حتى لو كان يقرأُ بعضَها.

❊ ❊ ❊ ❊

فَيَا حافظَ سورةِ البقرةِ: انقل ما تشاءُ من جوفك إلى جوف المَلَكِ، فَلَنْ ينقصَ من البحرِ الذي في جوفِكَ شيءٌ... ادَّخِرْ في جوفِ الملَكِ ما تشاءُ، فهذا أعظمُ ادِّخَارٍ ليومٍ عبوسٍ قمطريرٍ، يتمنَّى فيه كلُّ واحدٍ أن يكون عندَه هذا الادخار... ادخرْ في جوفِ الملكِ شهادةً ستظهرُ هناكَ، يومَ تأتِي كلُّ نفسٍ مَعَهَا سائقٌ وشهيدٌ... فما أعزَّها من شهادةٍ...؟

ادخرْ هذا الرصيدَ هناكَ.. فأيُّ عاقلٍ يُرخص بهذا الرصيدِ وهوَ الآنَ بينَ يديه وبإمكانهِ... وهو الآنَ في زمنِ الإمهالِ؟!

الباعث الرابع لصحبة سورة البقرة:

المنقذةُ لبيتك من أن يصبحَ مقبرةً، والمطهِّرةُ له من الشياطين

عن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتَكم مقابرَ، إنَّ الشيطانَ يِنْفِرُ من البيتِ الذي تُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ**»[(١)]، وفي روايةٍ أخرى «**وإن البيتَ الذي يُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ لا يدخلُه الشيطانُ**».

نَعَمْ؛ هكذا هي المقابلةُ، إمَّا أن يكونَ البيتُ مقبرةً، وإما أن يكونَ حياةً، وحياةً طاهرةً، وكأنَّ سائلًا بعدما استَمَعَ لقولهِ ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابرَ**» قال: وكيفَ يكونُ بيتي مقبرةً؟ وكيفَ أستطيعُ أن لا أجعلَه مقبرةً؟ فجاءَ الجوابُ بعدها مباشرةً: إنَّها سورةُ البقرة... هي الحدُّ الفاصلُ، والفارقُ والحاسمُ: (إنَّ الشيطانَ يِنْفِرُ من البيتِ الذي تُقرأُ فيه سورةُ البقرة).

فإنَّ المقابرَ هي مَسْكَنُ الموتَى من البشرِ.. وهيَ عنوانُ الموتِ ورمزُ الدارِ الآخرةِ وَسْطَ الحياةِ والأحياءِ، ولذا قالَ النبيُّ ﷺ: «**فزوروها فإنها تُذَكِّرُ الآخرةَ**»[(٢)]... فالمقابرُ ليستْ مساكنَ الأحياءِ... وهيَ مخوفةٌ بالنسبة للناس، مكروهةٌ كراهيةَ الموتِ، اللهم إلَّا للعِبرةِ... قالتْ أمُّ المؤمنين عائشةُ ﵂: «**فكُلُّنَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ**»[(٣)]... فكيفَ بالمبيتِ في المقابرِ، وكيفَ بالاستقرارِ فيها...؟!

---

(١) رواه مسلم (٧٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٥٤)، والنسائي (٤٤٣٠)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٥)، وابن ماجه (٤٢٦٤) واللفظ له، وصححه الألباني.

لِذا فإنَّ البيتَ الذي تُقرأُ فيه سورةُ البقرة يهربُ منه الشيطانُ، وإنْ كان قد سَكَنَهُ مع أهلِهِ سنينَ طويلةً.. يهربُ منه أشدَّ من هربِ ابنِ آدمَ مِنَ القعودِ بينَ المقابرِ طوالَ الليل، في وحشةٍ وظلمةٍ، وتخويفٍ مستمرٍ.

فلْيهنأْ المؤمن إذْ عَرّفهُ رسولُ اللهِ ﷺ ـ وهو الرحمةُ المهداةُ ـ كيفَ يتخلصُ من الشيطانِ ويطردُه من بيتِهِ.. وإنَّ الخلاصَ من الشيطانِ لهو أَوْلى مِنَ الخلاصِ من الثعبانِ السَّامِّ، والكلبِ المسعورِ، والوحشِ المُنفلتِ في البيتِ...

فإن سَألتَ عن وسيلةِ حفظِ البيتِ وأهلِهِ من الشيطانِ، ووسيلةِ طردِهِ..

كان الجوابُ أنها قراءةُ سورةِ البقرةِ.. فهلْ عرفتَ لِمَ يقاتلُ الشيطانُ حتى لا تَحفْظ أنت ولا ولدك سورة البقرة؟ لأنّ فيها طردَهُ من بيتك، ومن بيت ولدك من بعدك، كما طُرِدَ من جنةِ اللهِ تعالى... هكذا تصنعُ سورةُ البقرةِ.

فإنْ قلتَ: إن هذا يتحققُ بقراءتها، ولا يشترطُ له حفظُها..

أقولُ: ذلك مِنْ رحمةِ الله بالناسِ أَنْ سهَّلَ الأمرَ لهم، لَكِنْ أين مقامُ حفظِ سورةِ البقرةِ من مقامِ قراءتِها بالنظرِ...

إنَّ كِلَا المقامين خيرٌ لكنَّهما لا يستويانِ أبدًا... فأينَ الحافظ من غير الحافظ؟! وقد مرّ وسيمرُّ معنا هذا بإذن الله؟.

إن من حَفِظَ قرأَ.. وقرأَ.. وكرَّر ما لا يحصيهِ هو من المرات حتى حفِظَ، فإذا قرأَ من حِفْظه سُمِّي قارئًا، ولذا كانَ سيدُ القراءِ هو سيدُ ولدِ آدمَ، وهو رسولُ الله ﷺ، ولذا قالَ اللهُ سبحانه له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨]، ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ

عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وما كان النبيُّ ﷺ يقرأُ القرآنَ من مصحف ولا صفحةٍ...

أَمَّا الذي يتلو بالصفحةِ من نظرِه فلا يُسَمَّى حافظًا أبدًا... فكلُّ حافظٍ قارئٌ وليس كلُّ قارئٍ حافظًا، فإذا ذَكَرَ النبيُّ ﷺ القراءة للبقرة في البيت، دخل فيها الحفظُ مباشرةً، من بابِ أَولى... لأنه ﷺ هو أول الداخلين في القرّاء، وما كان يقرأها من مصحفٍ ولا ورقةٍ أبدًا.

بلْ أقولُ: الأصلُ أَنَّ مَنْ يقرأُ البقرةَ من المصحفِ لا يُعَدُّ قارئًا للبقرةِ، حتى يُتمَّها... أما الذي يحاولُ كلَّ يومٍ حفظَ المقررِ له من سورةِ البقرةِ، فإنَّ اللهَ سبحانه يتفضلُ عليه فيطرد الشيطانَ من بيتِهِ لأنه يحفظُ وِرْدَهُ اليوميَّ الجديدَ من سورةِ البقرةِ، ويُرجى أن يعامله اللهُ سبحانه على نيَّته، لأنه ما أرادَ بهذا إلا حفظَ سورةِ البقرةِ كاملةً، وتصديقُ هذا حديثُ النبيِّ ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[(١)]، وأنّ معاملةَ اللهِ سبحانه لعبادِهِ بالفضلِ، وأنهُ لو لم يحافظْ على هذا الوِرْدِ ما حفظَ البقرةَ بعد ذلك، فهل يتركُ الطريقةَ الوحيدةَ لحفظِها من أجلِ قراءتها كاملةً؟ وهو إنما يحفظُها شيئًا فشيئًا ليحفظَها كاملةً!

ثُمَّ إنّ المعتادَ هو معاملةُ اللهِ سبحانه لأهلِ القرآنِ بالإكرامِ، كما قال سبحانه: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾﴾، وإنَّ الصفحةَ الواحدةَ يكررُها كثيرًا، وهو يُعيدُ ما قبلَها ويرددُها، ويؤكدُ على مواضعِ تصحيحِ أخطائِهِ، وهَكَذَا شَأْنُهُ في كلِّ يومٍ وذلكَ كلُّه لأجلِ أن يبلغَ الغايةَ العظيمةَ، وهي حفظُ سورةِ البقرةِ كاملةً، والأمورُ بغاياتها كما هي القاعدة...

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

وإنَّنَا اليومَ حينَ نلتفتُ إلى أحياءِ كلِّ بلدٍ من البلدانِ المسلمةِ ـ إلَّا ما نَدُرَ ـ فسوف نجدُها في حقيقةِ الأمرِ مقابرَ إذا نظرنا بمنظارِ مَنْ لا ينطقُ عن الهوى، حيثُ قال ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتَكم مقابرَ**»...

ولذا فإنك حينما تقولُ: ما أكثَر بلدانَ المسلمين وأحياءَ المسلمين! يأتيك الجوابُ الصادقُ: ما أكثرَ المقابرَ في بلادِ المسلمين.

فليبتدئ مشروعُ الإحياءِ الأعظم بحفظِ سورةِ البقرةِ...

وإنها لباعثةٌ للحياةِ في الأمةِ التي نُزِعَتْ روحُها حين نُزِعَ منها القرآنُ، منذ عام ١٩٢٤م حين سقطت خلافةُ الإسلام، فأصبحتْ أمةُ القرآنِ بلا قرآن، ولسان حالهم يقول: إنما هو كتاب هداية شخصية، وشفاء شخصيّ، وخيره وبركته وهداه لا يتجاوز الأفراد!

الباعثُ الخامسُ لصحبة سورة البقرة:

صاحب سورة البقرة مبارك

عن أبي أمامةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقْرَؤوا القرآنَ فإنه يأتي يومَ القيامةِ شفيعًا لأصحابه، اقرَؤوا الزَّهرَاوَين: البقرةَ وسورةَ آلِ عمرانَ، فإنهما تأتِيان يومَ القيامةِ كأنهما غَمامتانِ أو كأنهما غَيايتانِ أو كأنهما فِرْقانِ من طيرٍ صوافَّ، تُحاجّان عن أصحابهما، اقرَؤوا سورةَ البقرةِ، فإنَّ أَخْذَها بركةٌ، وتركَها حسرةٌ، ولا يستطيعُها البَطَلَةُ**»(١).

قد مَرَّ معنا من قبلُ مَعْنَى القراءةِ «**اقرؤوا سورةَ البقرة**»، ولماذا الحفظُ أعلى درجاتِ القراءةِ وأقواها وأثبتُها وأثوبُها، وأولُها وأَوْلاها! لأنه اختيارُ الله سبحانه لرسوله ﷺ، فهو لا يقرأ إلا من حفظه ﷺ.. وهذا هو ما يناسبُ الأمرَ بالأخذِ، فأَخْذُ البقرةِ لا يكون بتركها بالمصحفِ والاكتفاءِ بقراءتها، فليس تركُ حفظها من الأخذِ بقوةٍ، ولا هو أعلى درجات الأخذ.

يقول الله ﷻ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤]. ﴿فَخُذْ﴾: فالله ﷻ يأمرُ موسى عليه السلام بعدَ ما ألقى الألواحَ بنفسِه مغضبًا أن يأخذها أخذَ مَنْ اصطفاه الله برسالاته وبكلامِه -وإنه لكذلك- والذي بين يديه هو رسالاتهُ إليه وهو كلامه.. وليس

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

مثل هذه النعمة نعمة، لذا لَزم شكرُها الشكر الذي يناسبُ عظمتَها... الشكر الذي لا يكونُ مَرّةً باللسان ويمضي، بل يصبغُ العبدَ، حتى يكتب عند الله شاكرًا، فيدخل مع الشاكرين، ويتحول إلى مقام الشاكرين....

ومن ثَمَّ جَاء الترتيبُ المذكُور في الآيةِ وجاءَ في ختامِها؛ ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾.

(فَخُذْ): فليسَ هو أخذُ اليدِ الجارحةِ فحسب، إنما هو أخذ اليد والقلب والروح، مع الانقياد والامتثال والاستسلام، هذا هو الأخذُ بالقوة وكمالِ الطاقة، كما قال الله سبحانه لنبيِّهِ يحيى عليه السلام... ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [مريم: ١٢].

وهنا نعودُ إلى حديثِ النبيّ ﷺ الذي يقولُ فيه عن أفضلِ ما أُخِذَ وهو كتابُ اللهِ.. وعن أعظم ما أُخِذَ في كتابِ الله بعد فاتحةِ الكتابِ -وكل كتاب الله عظيم- وهو سورةُ البقرة: «اقرؤوا سورةَ البقرةِ، فإنَّ أخذَها بركةٌ، وتركَها حسرةٌ، ولا يستطيعُها البطلةُ».

(أخذها): إنَّ أخذَ سورةِ البقرةِ ليسَ أَخْذًا من يدٍ إلى يد... إنه أخذٌ مخصوصٌ لسورةٍ مخصوصةٍ من بينِ سورِ القرآنِ الكريم، وإلا فكلُّ سورِ القرآنِ أخذُها بركةٌ.

وأخذ القرآن شيءٌ غيرُ التلاوة، بل هو الحفظ، المعبر عنه بالقراءة، ولهذا جَمَعَ الاثنينِ بقوله: «اقرؤوا سورةَ البقرة»، «فإن أخذَها بركة»، فاجتمع اللفظان على معنى واحِد، فإن الأخذَ هو الحفظ، وهو أمرٌ أكبرُ وأعمقُ وأدقُّ وألصقُ من التلاوة...

فالذي يأخذُ ما يحبُّ يضمُّه إلى صدرِه، ويضعُه ـ إن استطاع ـ في قلبه، ويغلقُ عليه أضلاعَه، ويجعلُ قلبَه يتشرَّبُه ما استطاعَ، تشرُّبًا يسقي حياتَه، وحياةَ من حوله... لِذا بلغَ بنو إسرائيل مِنْ محبةِ الشركِ بالله ومحبةِ عبادةِ العجلِ أن تشربوه تشرُّبًا، قال الله سبحانه عنهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣].

هكذا كان أخذُ بني إسرائيلَ للعجلِ، ولا يزالون إلى هذا اليوم، وليس معناه أنهم أدخلوا العجلَ الحقيقيَّ المجسمَ إلى قلوبهم، وما فهم هذا الفهمَ عاقلٌ... لكنهم حينما أُشربوا في قلوبهم حُبَّ العجلِ، أَخْرَجوا من قلوبهم حُبَّ اللهِ سبحانه ـ وعبادتِه وحده واتباع موسى وهارونَ عليهما السلام.

فكيف بحبِّ أمةِ محمدٍ ﷺ لكلامِ ربِّهم، الذي هو هذا القرآنُ الكريمُ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وبمقدار حُبِّهم تكون قوةُ أخذِهم وضمِّهم هذا القرآنَ، ولذا كان الحالُ الذي نزلَ عليه جبريلُ عليه السلام أوّلَ ما نزل على رسول الله ﷺ بالقرآن هو حالُ الضمّ... الضمّ؛ إذ يقولُ له في أولِ كلمةٍ من كلماتِ اللهِ الكريمةِ من كتابِ اللهِ الكريم: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١]... وسبحانَ اللهِ فإنَّ الأمرانِ اجتمعا... الأخذُ والضمُّ، كما قال النبيُّ ﷺ مخبرًا عما وقَع له مع جبريلَ عليه السلام: «**فأخذني فضمني إليه ضمةً حتى خشيتُ على نفسي**»، وهكذا يُكرِّرُ جبريلُ عليه السلام هذا الأمرَ العظيمَ عليه ثلاثَ مراتٍ، إذ هو يفتتحُ نزولَ القرآن وكأنه بهذهِ الضمةِ المباركةِ يفتحُ الطريقَ إلى قلبِه ليجعلَه فيه؛ ففي الصحيحِ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «**حتى جاءَه الحقُّ وهو في غارِ حِراءَ، فجاءه الملكُ فقال: اقرأْ، قال:**

ما أنا بقارئٍ، قال: فأخذني فغطَّني حتى بلغَ مِنّي الجَهدُ، ثم أرسلَني فقال: اقرأْ، قلتُ ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطّني الثانيةَ حتى بلغ مني الجهدُ، ثم أرسلَني فقال: اقرأْ، فقلتُ: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطَّني الثالثةَ، ثم أرسلَني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] –حتى بلغ– ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ٥]»[(١)].

وقوله هنا (غَطَّني) تعني: ضمَّني، بل أكثرُ وأشملُ وأقوى وألصقُ، وإنَّ أخذَ القرآنِ الكريمِ وضمّه إلى الذاتِ الإنسانيةِ لا يُتصوَّرُ إلا بحفظِه في القلوب، وبنقلِه من السطور إلى الصدورِ، ومن كونه بالعينِ منظورًا إلى كونهِ داخل القلبِ والجوفِ والروح.

أَما مرحلةُ الدعوةِ بالقرآنِ والجهادِ به والدعوةِ إليه، فهذهِ ليستْ هي مرحلةَ الأخذِ والضمِّ، إنما هيَ مرحلةُ العطاءِ، كما قال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إذًا.. قراءة القرآن هي مِنْ أَخْذِ القرآنِ الكريمِ، بلْ هي المرحلةُ الثانيةُ، فإنَّ المرحلةَ الأُوْلَى كما مرّ معنا سماع القرآن والمرحلة الثانية في الأخذ هي قراءته...

وأما المرحلةُ الثالثةُ في أخذِ القرآنِ الكريمِ إلى الذاتِ حتى يُصبحَ جزءًا من العبدِ كما أن النورَ جزءٌ من الفضاءِ في النهارِ، وكما أنَّ طِيبَ ريحِ الأترجةِ جزءٌ منها، بل كما أن الروحَ جزءٌ من كيانِ الإنسانِ... وهيَ إنما تكونُ بحفظِ القرآنِ الكريمِ عن ظهرِ قلبٍ... لذا قالَ اللهُ سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٧].

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٢).

فإن سألتَ عن قوله: (جَمْعَهُ) فقلتَ: جَمعهُ أين؟

كان الجواب: جمعه في قلبه ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤]، بل قال سبحانه عن الذين أوتوا العلم: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩].

فهلْ عرفنا مَعْنَى أخذِ سورةِ البقرةِ وأخذِ القرآنِ الكريمِ؟..

هل عرفنا قيمةَ هذه الكلمةِ وأبعادهَا الإيمانية؟..

هل عرفنا قوتهَا وجديتهَا وما تتضمنُه كلمات الحديث الشريف؟ «**اقرؤوا سورةَ البقرةِ، فإنَّ أخذَها بركةٌ، وتركَها حسرةٌ، ولا يستطيعُها البطلةُ**».

وقوله ﷺ «**فإنَّ أخذَها بركةٌ**» نعمْ إن سورةَ البقرةِ بركةٌ ككلِّ القرآنِ المباركِ، لكن الرسول ﷺ علّق البركةَ على أخذِها، لا على السورة، فلم يقل: فإنها بركة، وتقدم أن الأخذ المذكور في حديث رسول الله ﷺ إنما هو حفظها.

وإذا عرفنا معنى الأخذِ في قوله ﷺ: «أخذها» فلقد بَقِيَ أَنْ نعرفَ جزاءَ ذلكَ الأخذِ وهو قولُه «أخذها بركة»..

فإنَّ البركةَ في اللغةِ: هي الثباتُ، والبركةُ كذلك هي الزيادةُ... وماذا يرجو الإنسانُ من ربِّه إلا الثباتَ على الحقِّ، والزيادةَ مِنْ كل خيرٍ، فإنَّ اجتماع الاثنين يتحققُ في أخذِ سورةِ البقرةِ...

فإلى أيّ شيءٍ يطمحُ الإنسانُ أكثرَ من اجتماعِ هذين الاثنينِ؛ الثباتِ والزيادةِ من الخيرِ، وليسَ هذا فحسبُ بلْ وذهابُ ضِدِّهما.

ولو طلبنا للبركةِ معنىً مرادفًا في المصطلحِ الحديثِ لكانَ هذا المصطلح هو السعادةُ... وإن كانت البركة أوسعُ وأشملُ من بعضِ الوجوه، فكلمة السعادة عند أهل هذا الزمان لا يُفهم منها إلا سعادة الدنيا، بينما البركةُ لا تكونُ إلا من عند اللهِ ولا تكونُ مقتصرة على الدنيا، إذًا فالسعادةُ من البركةِ والسعادةُ عندما تكونُ سعادةً حقيقيةً فإنها تكونُ للدنيا والآخرةِ، ولا قيمة لسعادةِ الدنيا دونَ سعادةِ الآخرةِ...

وإنَّك لَتجدُ هذا العالمَ إنما يطلبُ اليومَ شيئًا واحدًا اسمهُ السعادةُ... بل إنك تجدُ طلبَ السعادةِ أشدَّ ما يكونُ عند أهلِ الدنيا مُلْكًا ومِلكًا... لأن السعادةَ أبعدُ ما تكونُ عنهم... وهل السعادة إلا ثمرةٌ واحدةٌ من ثمرات البركة.

إذًا فالبركةُ في حقيقةِ الأمرِ هي مطلوبُ الفردِ، وهي مطلوبُ البيتِ، وهي مطلوبُ المجتمعِ، وهي مطلوبُ الأمةِ... بل هي مطلوبُ الأممِ كلِّها.

أَلَا يكفِي أن تَرى الزمانَ الذي تعيشُ الأممُ فيه اليومَ كيفَ أصبحَ حين نُزِعَتْ منه البركةُ؟ ألم يقل النبيّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ»[(١)]، وتذهبَ البركةُ مِن المالِ، ومن الولدِ، ومن المطرِ، ومن الطعامِ، ومن الكلام والمواعظ والخطب، وتذهب بركة الأمة رغم كثرتها.

هكذا أصبحَ هذا الزمانُ حينَ نُزِعتْ منه البركةُ.... وما نُزِعتْ منه البركةُ إلا بسببِ أهل هذا الزمانِ... وإياكَ أن يختلطَ عليكَ الأمرُ في كلِّ مرة فيشتبه عليك

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٢)، وصححه الألباني.

وجودُ المالِ بالبركةِ، أو العلُو في الدنيا بالبركةِ، أو القوة السلطوية العالمية بالبركة... فهناك عندَ الأمم المتحضرة ـ كما تُسَمَّى ـ حيثُ القوة والمادة والمتع وما إلى ذلك، وكل ذلك فيه وفرةٌ ولكنْ هناك الخواءُ الداخليّ... هناك الفراغُ الإيمانيّ.. هناك التصحُّرُ القاتلُ في داخلِ النفوسِ وشاهدُه كثرةُ العياداتِ النفسيةِ وكثرةُ الانتحارِ... قطع الرحم، وتَفَشِّي العقوقِ، هناك انعدامُ الغيرةِ، وكثرةُ اللقطاء.. فهلْ مِنْ شهودٍ على انتزاعِ البركةِ أكثرُ من هؤلاءِ الشهودِ، المنتشرين في كل مكانٍ، وكلِّ بيتٍ، بلْ كل نفسٍ تشهدُ بهذا من داخِلِها.

تقولُ: هلْ يعني هذا أنهم لو حفظوا سورةَ البقرةِ حلَّت في ديارهم وفي حياتهم السعادة؟

أقولُ: إي والله؛ لو أنهم آمنوا وحفظوا فإنَّ مَنْ يُخاطَبُ بهذا هم أهلُ الإيمان... هم أمةُ محمد ﷺ أولًا قبل أولئك... وحياةُ البركةِ والخيرِ والسعادةِ التي سوف تصلُ إلى أولئك لن تصلَهم إلَّا عن طريقِ قناةٍ واحدةٍ، هي هذهِ الأمةُ المباركةُ..، وذلك إذا عادتْ إلى هذا الكتابِ المباركِ الذي هو مصدَر البركةِ ومعينُها..، كما قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩٢].

فعودةُ هذهِ الأمةِ إلى الكتابِ المباركِ أمرٌ حتميٌّ عاجلًا أو آجلًا، لأن ظهورَ الإسلام على كلِّ الملل أمرٌ حتميّ، كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

وفي الحديث: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ

الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١).

وفي حديث آخر: «**ليبلغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ ولا يتركُ اللهُ بيتَ مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله اللهُ هذا الدينَ بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليلٍ، عزًّا يعزُّ اللهُ به الإسلامَ وأهلَه، وذلًّا يذلُّ اللهُ به الكفرَ، وكان تميمٌ الداريُّ يقولُ عرفت ذلك في أهلِ بيتي لقد أصاب مَن أسلمَ منهم الخيرَ والشرفَ والعزَّ، ولقد أصاب مَن كان منهم كافرًا الذلَّ والصغارَ والجزيةَ**»(٢).

وبناءً على هذا فإن من المُسَلَّمات أنّ بركةَ هذهِ الأمةِ لن تكونَ إلا بعودتها إلى المصدرِ، وهو الكتابُ المباركُ، وعندَها تُوصِلُ الخيرَ والبركةَ والسعادةَ إلى الدنيا كلِّها... لأنها أمةٌ تحبُّ الخيرَ للناس كما تحبه لنفسها... ألمْ يجعلِ اللهُ سبحانه نزولَ البركة على بني إسرائيل من فوقهم ومن تحت أرجلهم مشروطًا بإقامةِ ما أنزلَ اللهُ إليهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن خَبَّاب بن الأرت (٣٦١٢).

(٢) أخرجه الامام أحمد في مسنده عن تميم الداريّ (١٦٩٥٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

فكيفَ بإقامةِ القرآنِ الكريم، والذي قد وَعَدَنَا اللهُ سبحانه بإقامته على العالمين أجمعين وليس على أمة محمد ﷺ وحدها... ألم يبشر النبي ﷺ بهذه الخيرات؟ فقال: «**أُبَشِّرُكم بالمَهديِّ يُبعَثُ في أُمَّتي على اختلافٍ من الناسِ وزلازلَ، فيملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا كما مُلئتْ جَورًا وظُلمًا، يرضَى عنه ساكنُ السماءِ وساكنُ الأرضِ، يَقسِمُ المالَ صِحاحًا**»(١).

لَعَلَّك تقولُ: فما دَخْلُ سورةِ البقرةِ بهذا التمكينِ الكليّ الشاملِ؟ أم أنَّك تعنِي أن هذا المشروعَ الذي هو حفظُ سورةِ البقرةِ هو بدايةُ المشروعِ الأعظمِ وهو بلوغُ هذا الدينِ ما بلغَ الليلُ والنهارُ؟

أمّا عودةُ هذا الدينِ إلى الحياة، وإعلاءُ اللهِ ﷻ له على الدينِ كله، وبلوغُه ما بلغَ الليلُ والنهارُ، فهذا هو أمرُ اللهِ تعالى الذي ادَّخَرَه لنفسِه، كما جعلَ سبحانه حمايةَ الكعبةِ من أصحابِ الفيلِ لنفسه لما تخلَّى عنها كلُّ أحدٍ، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [سورة الفيل]، كما اختصّ علم ذلك لنفسه هو سبحانه... لكن الذي نَعْلَمه هو أنه مرتبطٌ بهذا الكتابِ الكريمِ وسيلةً وغايةً.

أما ارتباطُ هذا المشروعِ بالأمرِ الأعظمِ فإنه إلى الله سبحانه، ولا يعلمهُ إلا هو سبحانه، وإن الله سبحانه ييسِّرُ لكل شيء أسبابهُ... ويقدِّم له آياتِه وعلاماتِه وبشاراتِه.. وَمَنْ يدري لعلّ اللهَ سبحانه قد أجرَى هذا المشروعَ -مشروع حفظ سورة البقرة- بشارةً بهذا الأمرِ الأعظمِ... والعلوّ النهائيّ الأكملِ على غيرِ علمٍ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدريّ (١١٣٢٦)، وضعفه الألباني.

ولا دراية ولا تخطيطٍ مِنّا، فأيّ شيءٍ مرتبطٌ بالقرآن الكريمِ الذي هو المصدر وهو الغاية ارتباطَ سورة البقرة به...

أليستْ هي أعظمَ سورةٍ بعد فاتحةِ الكتابِ...؟!

أليستْ هي سنامَ القرآنِ وأعلاه...؟!

أليست هي أكثرَ سورةٍ تحدثت عن اليهودِ...؟!

واستأْصل الله سبحانه كلَّ الأمم الماضية، وأَخَذَها بذنوبها.. إلا اليهود بَقَوا رغمَ ذنوبهم... فإهلاكُ اليهودِ واستئصالُهم ـ وهمْ شرُّ أمةٍ ظهرت للناس ـ لن يكونَ إلا على أيدي خيرِ أمةٍ أُخرِجتْ للناس... ولن يكونَ بآيةٍ كونيةٍ أو نحوها، كما كان الشأنُ مع الأممِ الماضية.. بل يكونُ على يدِ هذهِ الأمةِ المباركةِ فهذا شرفٌ ادَّخَرَه اللهُ لهذهِ الأمةِ المباركةِ، وحينَ يذهبُ المفسدونَ في الأرضِ لا بدَّ أن تنزلَ البركةُ على الناس... لأنَّ المفسدين حجاب دون نزولِ البركاتِ، ولا يمكنُك أن تعرفَ إلى أيّ مدىً في الأرض ستبلغ البركةُ حتى تعرفَ إلى أي مدىً بلغَ إفسادُ اليهود في دولتهم الثانية، وهي هذهِ القائمة وهي المشار لها في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾ [الإسراء: ٤].

وفي ختامِ آخرِ آيتينِ في البقرةِ ذَكَرَ اللهُ سبحانه دعاءَ هذهِ الأمةِ وذَكَرَ إجابتَهُ، وذكر انتصارَ الحقِّ وأهلِه على القومِ الكافرينَ جميعًا ومجتمعين، فقال الله سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن

نَسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦].

وفي الحديث: قال الله سبحانه: قد فعلت.

ربنا لا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا تعاملنا بما نستحق، واعْف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

الباعثُ السادسُ لصحبة سورة البقرة:

لا يَتَحَسّرُ صاحب سورةِ البقرةِ

«اقرؤوا سورةَ البقرة، فإنَّ أخذَها بركةٌ، وتركَها حسرةٌ، ولا يستطيعُهَا البطلةُ»[(١)].

ضمانٌ مِنَ اللهِ سبحانه أن لا يتحسرَ أبدًا من أَخَذَ البقرةَ وحفظَها... وأيّ شيءٍ يرجو الإنسانُ في هذا الزمانِ؟ زمانِ الحسراتِ والتعاسةِ وتواصلِ الأحزانِ أعظمُ من طردِ الحسرةِ عن حياتِه؟... **اللهُ أكبرُ؛ حياةٌ بلا حسرةٍ**... هكذا تصنع سورة البقرة.

إذًا... فأنتَ لن تَتَحَسَّرَ على هذا المشروعِ أبدًا، ولن تتحسرَ على ذهابِ الوقتِ فيه، ولن تتحسرَ على تركِ مشاريعَ أخرى لأجلِ هذا المشروع، ولن يتركَكَ اللهُ من غيرِ أن يعوضَكَ... كيفَ والنبيّ ﷺ جَعلَ مع ذهابِ الحسرةِ تحقُّقَ البركةِ.

إنّ الناسِ يطلبونَ البركةَ.. لكنْ كَمْ مِنَ الناسِ مَن طلبَ البركةَ فوقعَ في الحسرةِ؟!

أناسٌ ظنُّوا أنهم يجدون البركةَ إن تزوجوا... وظنّوها في الولدِ إن رُزِقوا به، وظنُّوها في المالِ، وظنوها في الشهادةِ الدراسيةِ، وظنوها في الوظيفةِ، وظنوها في

(١) تقدم تخريجه.

تحقيقِ المكاسبِ والفوزِ وحصدِ الجوائزِ... فوجدوا الزوجةَ المطلوبةَ.. ورزقوا بالولدِ والأولادِ، ورزقوا بالمالِ، وحازوا الشهادةَ، وظفروا بالوظيفةِ، وحصدوا الجوائزَ والألقابَ.. لكنهم لم يجدوا البركةَ في الزواج، ولا في الولدِ، ولا في الحياةِ كلِّها، بلْ وجدوا الحسرةَ في كلِّ شيءٍ في ليلهم ونهارهم، في بيتهم وفي خارجهِ في حلهم وترحالهم... وأَنَّى ذهبوا! ولوْ أنهم أخذوا سورةَ البقرة لوجدوا البركةَ في كل شيء، وذهبت الحسرةُ عن كل شيءٍ... هكذا جعلها النبيُّ ﷺ معادلةً واضحةً، لا تقبل النقضَ أبدًا: «**فإنَّ أَخْذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ**».

وحينَ يقولُ النبيُّ ﷺ: «**اقرَؤوا سورةَ البقرةِ**» فإن هذا أمرٌ، والأمرُ يقتضي الوجوبَ، فلا خيارَ لمن يستطيعُ القراءةَ إلا أن يقرأَها، وأَعْلَى درجاتِ القراءةِ هو حفظُها وقراءتُها عن ظهرِ قلبٍ، وإنّي لأخشَى على كلِّ مَن يستطيعُ حفظَها ثمّ هو لا يحفظُها، أن يخالفَ الأمرَ كما خالفَه من يستطيعُ قراءتَها من المصحف فلم يقرأْها، وشاهدُ هذا هو ما بعدَه في الحديثِ من تعليلٍ عظيمٍ، سوف نأتي له – بإذن الله تعالى– وهو قوله ﷺ: «**فإنَّ أَخْذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ**»، فإن الحسرةَ عقابٌ، والعقابُ لا يكونُ إلا على تركِ واجبٍ، والحسرةُ شاملةٌ للدنيا والآخرة، وهل تعريفُ الواجب عند علماءِ أصولِ الفقه إلا ذلك، وهو ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه، ما في فعله الثوابُ وفي تركه العقابُ، كما وعد الله سبحانه بذلك.

ثم هل مرَّ عليك في أي سورة من سور القرآن الكريم، مثل هذا الأمر الصريح بقراءتها؟

إذًا.. فهل ستكونُ حسرةُ مَنْ لمْ يعرفْ كلَّ هذا العلمِ والخصائصِ عن سورةِ البقرة مثل حسرةِ من علم بهذا؟!

فمِن أينَ ستأتي الحسرةُ؟

ستأتي الحسرةُ من حيثُ يحتسبُ ومن حيثُ لا يحتسبُ؛ ستأتي الحسرةُ عندما ينظر الإنسان في آخرِ عمرِه فيجدُ أَنَّ عمرَه قد ذهبَ، وجاءتْه الفرصةُ فلم يصحبْ سورةَ البقرةِ في الدنيا، ولذا فلن تصحبَه هي في آخر عمره ولن تصحبه في قبره، ولا في الدار الآخرة.

الحسرةُ مِن ضياع الحسنات، فكل مَن حفظَ سورةَ البقرةِ قد كَرّرها في مشوارِه حتى حفظَها... أيْ أنه ربما قرأها أكثرَ من مائةِ مرةٍ بحساب الآتي: ١٠٠ مرة × ٢٥٦١٣ حرفًا × الحسنة بعشر أمثالها = ٢٥٦١٣٠٠٠ يعنى خمسة وعشرين مليونًا وستمائة وثلاث عشرة ألف حسنة، أفلا يتحسَّرُ من فاتتْه كل هذهِ الحسنات بعد ما كانتْ بين يديه؟!

واللهِ لو كانتْ هذهِ الحسبةُ بالدنانيرِ أو الدراهم أو الدولارات لَحَزِنَ على فواتها أهلُ الدنيا أعظمَ الحزن، فكيفَ لا يكونُ تركَها حسرة؟!

أَلَا يتحسَّرُ من لازَمَه الشيطانُ لأنه تاركٌ للبقرة، ثم أَلَا يتحسَّرُ من تركَ العَمارَ وسكَنَ المقابرَ، وقد ربطَ النبيُّ ﷺ صُحبةَ الشيطانِ وسُكْنَى المقابرِ معًا، فقال ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»[(١)] وفي رواية أخرى «**وإن البيتَ الذي يُقرأُ فيه سورةُ البقرة لا يدخلهُ الشيطانُ**»[(٢)].

ألا يتحسَّرُ من أُصيبَ بمَسٍّ من شيطانٍ من شياطينِ الجنِّ، هو أو ولدُه أو

(١) رواه مسلم (٧٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٨٩١٥)، وصحَّحه الألباني.

أهلُه وقد كانَ بإمكانِه الوقايةُ من ذلكَ بسورةِ البقرةِ، وما ذلكَ إلّا لأنَّ الشيطانَ نفسَه خوَّفَه من حفظِ سورةِ البقرةِ فَصَّدقه فاقتنصَه الشيطانُ صيدًا سهلًا نعوذ بالله منه.

إن العالِمَ يتحسَّرُ إذا لم يتعلمْ ما في سورة البقرةِ من علمٍ... وأيّ علمٍ ليسَ في سورةِ البقرةِ؟!

وإن المربِّي يتحسَّرُ إذا لمْ يربِّ نفسَه وغيره على ما في سورة البقرةِ، وذلك بعد معرفتِهِ كنوزَ التربية فيها!

وإن القائدَ يتحسَّرُ إذا لمْ يدرسْ ما في سورةِ البقرة من معرفةِ مَنْ هُم الأعداءُ؟ ومَن هُمُ المؤمنون؟ ومعرفة حقيقة اليهود وشياطين اليهود... وحقيقة الصراع في هذهِ الدنيا، ومعرفة مبعث الشرور كلها إبليس نعوذ بالله منه!

وهكذا.. الأمةُ كلُّها تتحسَّرُ إذا لم تأخذْ سورةَ البقرة، وها نحنُ نَرى مصداقَ ذلكَ في حياة الأمةِ...

فاللهم اجعل هذا المشروعَ مشروعَ كشفِ الحسراتِ وإزالتها عن أمةِ محمدٍ ﷺ جميعًا.

الباعث السابع لصحبة سورة البقرة:

آخذُ سورةِ البقرةِ مُقَدّمٌ في الدنيا

يومَ أن تقفَ في صلاتِك بينَ يدي اللهِ -سبحانه- وتريد أن تُسْمِعَهُ كلامَه -سبحانه- من حفظِك فإذا بِحافِظَتِكَ خواءٌ من كلامِه... عندَها لا يُطْلَقُ على قلبِك إلا أنه قلبٌ خواءٌ مِن كلامِ الله ﷻ...

بينما تجدُ أَخاك وصاحبَك، ومَنْ يصلِّي بجوارِك ومَنْ يصلِّي معك، يحفظُ ما شاء اللهُ له أن يحفظَ...

حقًا إنَّ الإنسانَ ليستحي من ربه ﷻ، وخصوصًا إنْ كان قادرًا قارئًا كاتبًا..!

يستحي حينَ ينظرُ اللهُ سبحانه في حافظتِه، فإذا بها مَلأى من كلِّ شيءٍ، أسماء، وأرقام، وحسابات، وأحداث، وألعاب، وملاعب، ولاعبين، وفنانين، وبلدان، وعناوين، وأشعار، ولكل واحد نصيبُه من المحفوظاتِ، إلَّا أنَّ حافظةَ هذا المسلمِ ضاقتْ عن القرآنِ الكريم، بل ضاقتْ عن سورةِ البقرة...!

اللهُ سبحانه يعلمُ ويرَى ما في حافظتِه، لكنَّ عبده ما أراهُ كلامه الكريم فيها...! فسورةُ البقرةِ لم تجدْ طريقًا إلى قناعتِه، ولم تجدْ موضعًا في حافظتِه، وربما مضتْ حياته وانتهتْ محمَّلة بأكوام من المحفوظاتِ، التي سوفَ يوقفُ ويسألُ عنها واحدةً واحدةً... ومَنْ ذا تراه يَسْلَم وربُّ العالمينَ يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى

ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢٢].

يا ربِّ سَلِّم.. يا ربِّ سَلِّم... ولو أن هذا الرجلَ جعلَ سورةَ البقرةِ في جوفِهِ، لدافعتْ عنه حتى حفظته من كلِّ داهيةٍ، وأدخلته الجنة بإذن الله.

قد قلتُ: إنهما لا يستويان... حافظُ القرآنِ، وتالي القرآنِ غير الحافظِ وفي كلٍّ خيرٌ، ولكنْ يا تُرى لو كانَ كِلا الشخصينِ يقرأ القرآنَ مِن المصحفِ كاملًا، ويرتلانه ترتيلًا، ويفقهانِ ما شاءَ اللهُ لهما من معانيه وأحكامِهِ... فَمَنْ منهما الذي يختارهُ ربُّ العالمين فيقدّمه في الصلاةِ، على صاحبِهِ المماثل له، فضلًا عن بقيةِ المسلمينَ المصلِّين..؟

أليسَ هو هذا الرجل الأحفظَ لكتابِ الله تعالى؟

فما الذي ثَقَّلَ ميزَانَه عندَ ربِّه..؟

وما الذي رفع شَأنه على بقيةِ إخوانِهِ..؟

وما الذي قدَّمَهُ به ربُّه سبحانه؟ ليكونَ الأولَ المنفردَ في صفّه عن جميع صفوف المسلمينَ؟

لقد نَظَر ربُّ العالمينَ إلى قلبِ هذا الرجلِ ـ وهو سبحانه أعلمُ ـ فوجدَ أنَّ كلامَه الكريمَ سبحانه قد استقرَّ فيه استقرارَ الماءِ في العودِ الحيِّ، بل استقرارَ نقشِ النورِ على لفائفِ قلبِهِ، فهو يقرأُ من قلبِه.. بينما أخوهُ يقرأُ من الوَرقَ... فأين ثِقَلُ هذا من ذاك في ميزانِ ربِّ العالمين؟!

ولو استوى الاثنانِ، الحافظُ وغيرُ الحافظِ للقرآنِ لما استقرَّ قارئ القرآن من المصحف مع جميع أهل الجنة عند أعمالهم، بينما يُدْعَى الحافظُ للقرآن لِيعرجَ ويرقى، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال في الحديث: «**يقال لقارئِ القرآنِ**» وقطعًا فإن قارئَ القرآنِ هنا حافظهُ، لأنَّ الرواية الصحيحة ذكرت تسميته «**صاحب القرآن**».

فعن عبدِ الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قالَ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يُقالُ لصاحبِ القرآنِ اقرأ وارتقِ ورتلْ كما كنتَ ترتلُ في الدنيا، فإن منزلتَكَ عندَ آخِرِ آيةٍ تقرؤُها**»[(١)].

فأيُّ الاثنينِ يَصْدُقُ عليه صاحبُ القرآن الكريم، وصحبتُه له أكثر، أليسَ الحافظ؟

أليس صحبةُ من يقرأُ من المصحفِ تذهبُ، فإذا ذهبَ المصحفُ ذهبَ ما معه من القرآنِ الكريمِ... أَمّا صحبةُ مَنْ حَفِظَه في قلبِه آيةً آيةً حتى أصبحَ القرآنُ جزءًا منه... أصبحَ هو في معيّة القرآنِ.. وأصبحَ مصاحبًا للقرآنِ حقًا؛ في يقظته ومنامِهِ، في مشيه وسعيه، في قيامه وقعوده، وكل تقلباته وجميع شأنه، فهذهِ ـ والله ـ الصحبة التي لا نظير لها أبدًا.

ثُمّ هذا الذي قيلَ له اقرأْ وارقَ... إِنَّما يرقَى هو وصاحبهُ القرآنُ المصاحبُ له، فهو الذي يرفعه كما يرفعُ المحرِّك الآليّ حِمْله وصاروخَه ومكوكَه الفضائيّ... وكما يرفعُ الطائرَ جناحَاه إلى أعلى وإلى الأمام، فالجناحانِ جزءٌ لا يتجزأُ من الطائرِ، والريشُ جزءٌ من الطائر، مع أنه ما نبت إلا بعد ما وِلدَ بغير ريشٍ بفترة وهكذا الحفظ، ولله المثلُ الأعلى.

---

(١) رواه أبو دواد في سننه (١٤٦٤)، وقال الألباني: حسن صحيح، ورواه الترمذي في سننه برقم (٢٩١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وإنِّ هذا الصعودَ وهذا العلوَّ ما كانَ لصاحبِ القرآنِ إلَّا بعد ما أُكرمَ أعظم الكرامة...

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**يجيءُ القرآنُ يومَ القيامةِ فيقولُ: يا ربِّ حلِّهِ، فيُلْبَسُ تاجَ الكرامةِ، ثم يقولُ: يا ربِّ زده، فيُلبسُ حُلَّةَ الكرامةِ، ثم يقولُ: يا ربِّ ارضَ عنه، فيرضَى عنه، فيقالُ له: اقرأ وارقَ، ويُزَادُ بكلِّ آيةٍ حسنةً**»(١).

فإذا أمعنتَ النظرَ في الحديثِ وجدتَ أنّ الذي يطالبُ هذه المطالبةَ لهذا الصاحبِ هو صاحبهُ القرآنُ... وسِرُّ هذهِ المطالبةِ هو الوفاءُ للصحبةِ الطويلةِ في الدنيا، فالجزاءُ من جنسِ العملِ، وهو المحبةُ، فما من صاحبٍ يحبُّ أصحابَهُ في عمومِ الأشياءِ كمحبةِ القرآنِ الكريم أصحابَه.

فهلْ يستوي عندَ اللهِ في الدنيا قبلَ الآخرةِ من حَفِظَ القرآنَ أو حَفِظَ سورةَ البقرةِ مَعَ مَنْ لمْ يحفظْها؟!

وهلْ يستويانِ في الجزاءِ عندَ اللهِ..؟!

ولذا فقد كانتْ الرفعةُ لصاحبِ القرآنِ لا تدانيها رفعةٌ في الدنيا.. ولكنها على قَدْرِ صحبتهِ وقوتها وتوثقها، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالتْ: قال رسول الله ﷺ «**الماهرُ بالقرآنِ مع السفرةِ الكرامِ البررةِ، والذي يقرأُ القرآنَ ويتتعتعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجرانِ**»(٢).

وهكذا الماهرُ في حفظِ سورة البقرة فقوله: «الماهر»: ماهر في صِحَّةِ قراءته

(١) رواه الترمذي في سننه (٢٩١٥)، وقال: حديث حسن صحيح، وحسَّنه الألباني.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٩٨)، رواية مسلم (ويتتعتع)، وفي رواية أخرى (ويُتَعْتِع).

وتمكُّنِه في حفظِه وإتقانه... ماهرٌ فيه ومعلِّم له، ماهرٌ في الأداءِ وحُسْنِ الصوتِ، فإن الصوتَ الحسنَ زينةُ القرآنِ.

وربما قلت هنا: إن هذا في حفظِ القرآنِ بشكلٍ عامٍّ وليسَ في البقرةِ بشكلٍ خاصٍّ.

فإنّي أقولُ لك: إِي واللهِ القرآن الكريم كلّه... لكنْ هلْ تشكُّ بأنّ لسورة البقرةِ خصوصيتها من بين سورِ القرآنِ الكريمِ كلِّها، وذلكَ في تقديمِ صاحبِها في الإمامةِ والإمارةِ، في الدنيا والآخرة؟! ثم نحن نتحدَّث مقارنين بين المرء وليس معه سورة البقرة حفظًا وبينه نفسه إذا ما حفظ سورة البقرة، وبين من يحفظها ومن لا يحفظها.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ بعثًا، وهم ذو عَددٍ، فاستقرأَهُمْ، فاستقرأ كلُّ رجلٍ منهم ما معه من القرآنِ، فأتى على رجلٍ منهم ـ من أَحدثِهم سِنًّا ـ فقال: «**ما مَعَكَ يا فلانُ**»؟! قال: معي كذا وكذا، وسورةُ البقرةِ، قال: «**أَمَعَكَ سورةُ البقرةِ**»؟!، فقال: نعم، قال: «**فاذهبْ، فأنتَ أميرُهم**»، فقال رجلٌ من أشرافهم: واللهِ يا رسولَ اللهِ! ما منعني أن أتعلَّمَ سورةَ البقرةِ، إلا خشيةَ ألا أقومَ بها؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**تعلَّموا القرآنَ، واقرؤوه، فإنَّ مثلَ القرآنِ لمن تعلَّمه، فقرأه وقام به، كمثلِ جرابٍ مَحشُوٍّ مسكًا، يفوحُ ريحُه في كلِّ مكانٍ، ومثلُ من تعلَّمَه، فيرقدُ، وهو في جوفِه، كمثلِ جرابٍ وُكِيَ على مِسكٍ**»[(١)].

فتقديمُ من قدّمَ سورةَ البقرةِ فحفظَها عندَ اللهِ ـ سبحانه ـ أمرٌ مفروغٌ منه.. ولكن المُلْفِتَ هنا ليسَ تقديمه في الإمامةِ فحسبُ، وإنما تقديمُه في الإمارةِ

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٧٦)، وقال هذا حديث حسن.

كذلك... فَمَن عِنْدَه سورةُ البقرة من بين صَحْبِهِ فهو الإمامُ وهو الأميرُ... **ووراءَ ذلك أسرارٌ**، أمّا كونُه الإمامُ فلزيادة حفظِه على مَنْ سواه، وأما كونُهُ الأميرَ فلأنّ حافظَ سورةِ البقرةِ لا يليقُ به إلا أن يكونَ هو الأمير، فسورةُ البقرةِ تُخَرِّجُ الأمراء.. وهي التي تُعرِّف الإنسانَ بمالَهُ وما عليه، بلْ تُعرِّفُ القائدَ بماله وما عليه تجاه أمتِهِ، ولا يمكنُ لحافظِ البقرةِ في ذلك الوقتِ إلّا أن يكونَ عَرَفَ معانيها وأحكامَها.

وأيّ علمٍ يحتاجهُ القائدُ أكثرُ أهمية من أن يعرفَ أنواعَ الناسِ، وقد جاءَ بيانهُم في أولِ سورةِ البقرةِ.

ويعرفَ القائدُ أكثَر ما يعرف المنافقين في المجتمع لأنهم الأخطرُ، وقد جاءَ تفصيلُ ذلك في أوائلِ آياتها الكريمة... كما يعرِفُ أعداءه الذينَ من خارجِ مجتمعِه.. وقد بيَّنهم الله في أول السورة الكريمة...

ويعرف مصدر عداوة عدوه، وقد جاء ذلك في أول قصة وهي قصة السجدة واستكبار إبليس نعوذ بالله منه.

ويعرف عدوَّه مِنَ البشرِ.. وهل فصَّلَتْ سورةٌ شأن اليهود مثلما فصَّلت سورة البقرة؟!

ويعرف القائدُ نقاطَ الخلافِ مع عدوه، وأعظمها محاور الصراع العظمى، أوليستْ هي رسالةُ رسول الله ﷺ، وهذا القرآن الكريم، والكعبة، والاقتصاد والحكم وتفاصيل الأحكام وتلقيها من الله وحده؟ وكلها في البقرة...

وسورةُ البقرة تشملُ كلَّ هذا.. والقائدُ الذي لا يعرفُ أمتَه ولا عدوَّها ولا يهتمُّ بشأنها كلّه كاملًا لا يستحقُّ أن يكونَ قائدًا...

وهذا بعضُ ما تصنعُهُ سورةُ البقرةِ بشكلٍ منقطعِ النظيرِ.

ورغم، أنَّ الحفظَ أمرٌ مقدور عليه إلا أنها سورة البقرة، أطول سورة في السبع الطوال ذات الآيات التي تبلغ ثلاثَ مائةٍ إلا أربعَ عشرةَ آيةٍ... لذا كان السبيلُ لحفظها هو الصبرُ والمصابرةُ والرباطُ عندها والمرابطةُ... وهذهِ أعظمُ صفاتِ الإمامِ أو الأميرِ أو القائدِ المستحقّ لِأَنْ يلَبسَ تاجَ الإمامةِ والإمارةِ من بين صحبِه، وفي الأثرِ الصحيحِ عن الصَّلْصَالِ بْنِ الدَّلْهَمَسِ قال: «**مِنْ قرأَ سورةَ البقرةِ في ليلةٍ تُوِّجَ بتاج الجنة**»(١).

ورغمَ أَنَنِّي لا أتخذُ الاستدلالَ عن التابعينَ ولا تابعيهم منهجًا إلَّا أَنَّ هذا الأثَر وافقَ ما وردَ عن رسولِ الله ﷺ وهو قوله: «**فاذهبْ فأنتَ أميرُهم**» فأعجَبني أَيَّما إعجابٍ.

ثُمَّ إنَّ القاعدةَ في المكافأةِ والجزاءِ هي: «**الجزاءُ من جنس العمل**»، فإنَّ مَن كانَ إمامًا في الدنيا استحقَّ أن يلبسَ التاجَ يومَ القيامةِ، فلقد أَعْطَى صاحبُ سورةِ البقرةِ تاجَ الإمارةِ حقه في الدنيا فاستحقَّ تاجًا خاصًا عند اللهِ يومَ القيامةِ، ولذا كان حديثُ رسولِ الله ﷺ الذي مرَّ معنا واضحًا في تعليل سبب المكافأة؛ «**أمعكَ سورة البقرةِ؟** قال: نعمْ، قال: **فأنتَ أميرُهم**».

وهذه بعضُ الرفعةِ التي كانَ الصحابةُ رضي الله عنهم يُقِرُّونها متَى ما قدروا على ذلك، ويستسلموا لأمرِ من فَعَلَها؛ فعن عامرِ بن واثلةَ أن نافع بن عبد الحارث لقي عمرَ رضي الله عنه بِعُسْفانَ، وكان عمرُ يستعمله على مكة، فقال: مَنِ استعملتَ

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢١٦٧)، وصحح سنده الشوكاني في فتح القدير (١/ ٣٣).

على أهلِ الوادي؟ قال: ابن أَبْزَى، قال: ومَن ابنُ أَبْزى؟ قال: مولىً من موالينا، قال: فاستعملت عليهم مولىً؟! قال: إنه قارئٌ لكتابِ اللهِ ﷻ، وإنه عالمٌ بالفرائضِ، قال عمُر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إنَّ اللهَ يرفعُ بهذا الكتابِ أقوامًا ويضعُ به آخرينَ**»(١).

وهل التَفَتَ عمُر رضي الله عنه إلّا عندَ قوله (إنه قارئٌ لكتابِ الله)، ولم يقلْ له (يقرأ القرآن)، أي: إنه الماهرُ في كتابِ الله، فهذا الرجلُ بلغَ به الأمرُ أن استحقّ اسم قارئٍ لكتاب الله، فهو الماهرُ في حفظِه.. الماهرُ في تلاوتِه.. الماهرُ في أحكامِه.. الخبيرُ فيما يتعلقُ بالقرآن الكريم.

أليستْ هذهِ تطبيق قول النبي ﷺ لمن معه سورة البقرة: (فأنت إمامهم).

وكيفَ لا يعملُ عمرُ رضي الله عنه بهذا المنهجِ وسيدُه ﷺ قد عَمِلَ به، فعن عثمانَ بن أبي العاص رضي الله عنه قال: (**استعملني رسول الله ﷺ وأنا أصغرُ الستةِ الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك أَنِّي كنتُ قرأتُ سورةَ البقرةِ، فقلتُ يا رسولَ الله: إن القرآنَ ينفلتُ مِنِّي، فوضعَ يده على صدري وقال: يا شيطانُ اخرجْ من صَدْرِ عثمانَ، فما نسيتُ شيئًا بعده أريدُ حفظَه**)(٢).

(١) رواه مسلم (٨١٧).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٠٨)، وصححه الألباني في الصحيحة، حديث رقم (٢٩١٨).

الباعثُ الثامنُ لصحبة سورة البقرة:
آخذُ سورة البقرةِ مُقَدّم في الدارِ الآخرةِ

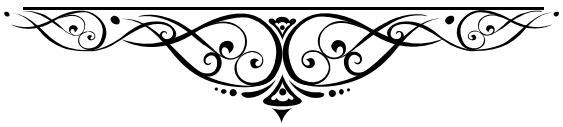

عن جابرِ بن عبد اللهِ ﵄ أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يجمعُ بينَ الرجلينِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ في ثوبٍ واحدٍ، ثم يقولُ: **أيهم أكثرُ أخذًا للقرآنِ؟ فإذا أُشِيرَ له إلى أحدِهما قدَّمه في اللَّحْدِ، وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاء، وأمرَ بدفنِهم بدمائِهم، ولم يصلِّ عليهم، ولم يغسِّلْهم»**(١).

وعن هشامِ بن عامرٍ ﵁ قال: شُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الجِرَاحَاتُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**احْفِرُوا، وَأَوْسِعُوا، وَأَحْسِنُوا، وَادْفِنُوا الِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، وَقَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا**»، فَمَاتَ أَبِي، فَقُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَجُلَيْنِ(٢).

المقدَّمُ هو: «أكثرُهم أخذًا للقرآن»، أي حِفْظًا للقرآن... فهذا هو مِن أَخْذِ القرآنِ، وهذا هو تفسيرُ الأخذِ للقرآنِ... فالصحابةُ ﵃ يعرفون الحفظةَ منهم ويعرفونَ الأكثر حفظًا من الآخر... وهكذا ميّز حفظُ القرآنِ صاحبَهُ بينَ الشهداءِ الذينَ هم عندَ اللهِ مَنْ هُمْ، وهكذا قالَ النبيُّ ﷺ: «**وقدِّموا أكثرَهم قرآنا**» تَسَاوَوْا في أصلِ الصحبة رضي الله عن الصحابةِ أجمعينَ، وتساوَوْا في أصلِ الشهادةِ.. لكنَّ القرآنَ رفعَ أصحابهُ الحافظين أكثرَ، بل رغم أنهم كالصحابة ﵃ بعضهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٤٧).
(٢) رواه الترمذي (١٧١٣)، وصححه الألباني.

أفضل من بعض، وكالشهداء بعضهم أفضل من بعض؛ إلّا أن الذي تجاوَزَ بأصحابِهِ عن أفضلِ أهلِ الفضلِ هو حفظُ القرآن.

فقولُه: «**أيُّهم أكثرُ أخذًا للقرآن**»: فَمَنْ كان الإمامَ بين المسلمين هنا في هذه الدار فهو الإمامُ في تلكَ الدارِ، ومن كانَ المقدَّمَ بينَ يدي اللهِ عندَ لقائه سبحانه في الصلاةِ كان المقدَّمَ بين يدي الله عند الحسابِ... مادام قائمًا بحق القرآن الكريم.

وما جاءَ تقديمُ صاحبِ القرآنِ إلا لخيرٍ عظيمٍ له ولِصَحْبِهِ الذين رحلوا معه؛ فإنّ من كان أحبّ إلى الله قُدِّمَ عند اللقاء والحساب، فالحبيب يتجاوز عن حبيبه ويتجاوزُ عن من جاءَ مع حبيبه.

ومَنْ جَاء ومعه شفيعُه وصاحبُه وهو القرآنُ قُدِّم لأنه إن بطَّأ به عملُه أَسرعَ به القرآنُ وشفَعَ فيه.. والقرآنُ لا يعجزه أن يشفعَ للآخرين الذين دُفنوا مع صاحبِ القرآنِ ويُسألون الآنَ معه، وسوف يحاسبون إذا بعثوا معًا.

فهذا كلامُ الله الذي أخذه الحافظ ولم يتركه في مصحفِهِ في الدنيا يومَ تركَ الدنيا، وإنْ كانَ هو على خيرٍ، ولكنه أخذه معه في قلبه في ذاكرته محفوظًا محروسًا بين أضلاعه... فلذلك صَدَقَ عليه أنه (أَخَذَه) وأنه (أكثرُ أخذًا للقرآن)..

ولمَّا كان هذا الرجلُ قد أَخَذَ القرآنَ معه جاءَ اليومُ الذي يأخذُه القرآنُ ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

إنَّ الناسَ ما كانوا في دنياهم يأخذونَ حديثَ رسولِ الله ﷺ بالجدّ اللائق به

حين يستمعون له وهو يقولُ لهم: (صاحبُ القرآن) ويقول لهم عنه: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)، فها قد بدأتِ الرحلةُ العظيمةُ... الرحلةُ الأخيرةُ، الرحلةُ التي لا انقطاع بعدها أبدًا... اليومَ يدخلُ الناسُ هذه الدار دخولَ الغرباءِ، ويدخلُ أهلُ القرآنِ دخولَ الأهلِ على أهليهم... دخولَ من طالَ انتظارُهم واشتدَّ شوقهم، فهلْ ترى هذا وقتَ حسابٍ أو عذابٍ؟!

لمْ يستبنْ للناسِ هذا المقامُ الكريمُ في الدنيا فعامَلوا أهلَ القرآن بلا مزايا ولا إكرامٍ، ونَسَوْا أَنَّ مقامَ هؤلاءِ مرتبطٌ بالله، وإلا ما مقتضى (أهل الله وخاصته)، أليسَ الواجبِ أنَّ (أهلَ اللهِ) يُقدَّمون عند المؤمن الحقِّ على أهلهِ؟!

أليس خاصة ربّ العالمينَ يقدَّمون عندَ المؤمنِ الحقِّ على خاصته هو؟!

فلما أُهدر حقُّهم الذي افترضه الله ﷻ على الجميعِ في هذهِ الدنيا، وأصبحَ أهلُ الدنيا ـ وخصوصًا في عصرِ الإعراضِ الكاملِ عن القرآنِ ـ قد أهدروا حقهم، ما كان من الله ـ سبحانه ـ إلا أن يضاعف لأهل القرآن الجزاءَ؛ فهو سبحانه يُعَوِّضُهم عما استحقوه، لكونهم صبروا على حرمانهم من كل حقهم واكتفوا بالقرآن عِوَضًا، وهو سبحانه يعطيهم حقهم على أنهم (أهلُ اللهِ وخاصتهُ)...

وإنَّ من الصعوبةِ أن تتصورَ أن يكونَ الرجلُ أكثرَ حفظًا للقرآن ولا تكونُ سورةُ البقرة فيما يحفظ...

ومنَ الصعوبةِ أن تتصورَ أن يحفظَ المرءُ سورةَ البقرةِ ثم هو يتوقفُ عندَها ولا يضمُّ لها سورةَ آلِ عمرانَ، ليكملَ المعادلةَ ويحوزَ المظلةَ الكاملةَ في أرضِ المحشرِ، وقد قال النبيّ ﷺ: «**اقرؤوا القرآنَ؛ فإنه يأتي يومَ القيامةِ شفيعًا لأصحابِه، اقرؤوا الزهْرَاوينِ البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنَّهما يأتيانِ يومَ القيامةِ كأنَّهما**

غمامَتانِ أو غيايتانِ، أو كأنَّهما فِرْقَانِ من طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عن أصحابِهما، اقرؤوا سورةَ البقرةِ؛ فإنَّ أخْذَها بركةٌ، وتركها حسرةٌ، ولا يستطيعُها البطَلَةُ»[1].

ثُمَّ مِنَ الصعوبةِ أن تتصورَ أن أحدًا يستطيعُ أن يكملَ ثم هو يتوقف عند سورتي البقرةِ وآلِ عمرانَ...

أليسَ كلُّ ما قلتُه حقيقة... أتدري لماذا؟ ألا تذكر أن النبي ﷺ قال عن سورة البقرة: (أخذها بركة)، أليست البركة هي الزيادة؟ وهي الإفاضة، والانتشار المبارك، وهل تتوقف زيادة سورة البقرة عند حدٍّ، وكَمْ وكم رأينا مَن ابتدأَ بالبقرةِ فلما أتقنها وتذوَّقَ لذَّةَ حفظِها وسعادتِه بها، جلبتْه بركةُ هذهِ السورةِ المباركةِ إلى القرآنِ الكريمِ كلهِ فحفظَه، وما كانَ لمن قدّمه رسولُ الله ﷺ في إمامةِ الناسِ في الدنيا أَنْ يؤخِّرَه أحدٌ...!!

(١) صحيح مسلم (٨٠٤).

الباعث التاسع لصحبة سورة البقرة:
حافظُ سورة البقرةِ في الحِصنِ الحصينِ

حقًا إن العلمَ قد تطوَّرَ كثيرًا، وإن الثورةَ العلميةَ في هذا العصرِ جعلتْ منه عصرًا فذًّا، لا نظيرَ له، حتى لكأنّه زمانٌ قد خُلِقَ من جديد...

لكنْ مع كلِّ هذا، فإنَّ ما تصنعهُ شياطينُ الجنِّ اليومَ بأوليائهم، وبمَنْ يتخطَّفونهم ليلَ نهارَ من بين أهليهم، ومِمّنْ يُعَيِّشُونَهُمْ عالمَ الأوهامِ وسوءَ الأحلامِ وتلاعبها بالعقولِ في العالمِ الغربيِّ والشرقيِّ... أمرٌ فظيعٌ يدعُ الحليمَ حيرانَ..!

نعم... هذا ليسَ في عالمنا العربيِّ والإسلاميِّ فحسبُ، إنما الشياطينُ في العالمِ الآخرِ هيَ أشدُّ إضلالًا وإيهامًا لأولئك، فهناكَ تجدُ أعمالَ الشعوذةِ والسحرِ في صورٍ مؤسسية، وتجاريةٍ، وتعليميةٍ، ولها رخصُها الرسمية، ولها مكاتبها المنتشرةُ في كلِّ مكانٍ.

دَعْكَ من الهندِ وأمثالها، وانظر ماذا في أمريكا وأوروبا، من محلاتٍ ومؤسساتٍ، كلّها من أعمالِ الشيطانِ، نعوذ بالله منه.

حقًّا إنَّ الإنسانَ هناكَ وسطَ هذه الضلالات، وفي هذا العالمِ المظلمِ، والزمانِ الفاتنِ المفتنِ، ليبحثُ عن ملاذٍ آمِنٍ منَ الشياطينِ -نعوذُ بالله منهم- فلا يقعُ إلَّا في أحضانهم، ولا يسمع إلا وساوسهم، عياذًا بالله منهم.

هنا تتجَلَّى سورةُ البقرةِ...

فسورةُ البقرةِ هي الحصنُ الحصينُ، الذي لو اجتمعَ إبليسُ وذريتُه، ومعهم شياطينُ الإنسِ والجنِّ، والسحرةُ والمنجمون والمشعوذون... وجاؤوا على قلبٍ واحدٍ، ورموْكَ عن قوسٍ واحدةٍ، يا حاملَ سورةِ البقرةِ، لمَا وَجَدَ سهمُهم منفذًا إليكَ، ولحاقَ كيدُهم بهم، وعادوا خائبينَ خاسرينَ، ولوْ عاودوا المحاولةَ آلافَ المرَّاتِ.. وعاودوها حالَ يقظتكِ، وحال نومِك، لمَا أفلحوا أبدًا، كيف وقد قال المصطفى ﷺ: «**ولا يستطيعُها البطلةُ**»، والبطلةُ هم أهلُ الباطل وعلى الأخصِّ الشياطينُ من الجنِّ، والسحرةُ من الإنسِ.

فمعنى «**لا يستطيعُها**» أي لا تستطيعُ صاحبَها... فلا يُنقَبُ حصنُها، ولا يتعدَّى أحدٌ إلى أَذى صاحبِها أبدًا.

وقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابرَ، إن الشيطان ينفرُ من البيتِ الذي تقرأُ فيه سورةُ البقرةِ**»[(١)]، وفي روايةٍ أخرى: «**وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ**»[(٢)].

فاضربْ على بيتِك هذا الحصنَ الحصينَ، الذي مَهْمَا لفَّ الشيطانُ حولَ بيتكِ ودارَ، وتخلَّلَ البيوتَ واستقرَّ فيها، واتخذَ منها مَسْكَنًا... فسوفَ يعودُ عن دخولِ بيتِك خائبًا وهو حسيرٌ.. فأيّ شيءٍ ترجوهُ أحسنُ وأسلمُ لك ولولدِك وأهلِك ومَنْ مَعَكَ في البيتِ، أفضل مِنْ سلامتهم، المنوطةِ بأَخْذِ سورةِ البقرةِ؟!

ثم إن البيت الذي تُحْفَظُ فيه سورةُ البقرةُ، تُضْمَنُ فيه ديمومة قراءة سورة

---

(١) رواه مسلم (٧٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٨٩١٥)، وصحَّحه الألباني.

البقرة إلى يوم القيامة، ذلكَ أنهّا تُقرأُ فيه عندَ حفظِها مِنْ أهلِ البيتِ... وربما قُرِئَتْ فيه على مدارِ الليلِ والنهارِ... فطالبُ الحفظِ لا يحفظُها إلا بتكرارها.. ثم تسميعِ بعضهم لبعض، ثم التسميعِ لشيخِ البيت وأستاذِ الحلقةِ، ثم كلّ واحدٍ لا يزالُ يصلي بما حفظَ من البقرةِ، هكذا كلّ يومٍ.. ثم هو يجمعُ المحفوظَ كلَّ يومٍ ويصلِّي به... فإذا أتمَّ البقرةَ كان أشدَّ محافظةً عليها، لقوله ﷺ عن القرآن: «**لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»(١).

وبعدَ ذلكَ يصبحُ هذا إرثًا ينقلهُ الحافظونَ لصغارِ البيتِ وبقيةِ الأهلِ، فيسيرونَ على ذاتِ الطريقِ المباركِ الذي افتتحتَ أنتَ بابه..!

إذن، فسورة البقرةِ لن تغيبَ عن هذا البيتِ أبدًا... فأيّ نصيبٍ للشيطانِ في هذا البيتِ؟!

وأيّ غرابةٍ في أَن تُختصَّ سورةُ البقرةِ بهذا وهي السورةُ التي تضمُّ في قلبِها الآيةَ التي تصرعُ مردةَ الشياطينِ فضلًا عن ضعفائهم، إنها آيةُ الكرْسِي التي يفرُّ منها ومِنْ أصحابِها الشياطينُ فرارًا(٢).

(١) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري (٧٩١).

(٢) في فضل آية الكرسي، روى البخاري في صحيحه (باب صفة إبليس وجنوده) (٣٢٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وكلني رسولُ اللهِ ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضانَ، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعامِ، فأخذتُه فقلتُ: لأرفعنَّكَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ -فقصَّ الحديثَ- فقال: إذا أويتَ إلى فراشِك فاقرأْ آيةَ الكرسيِّ، لن يزال معك من الله حافظٌ، ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبحَ، وقال النبيُّ ﷺ: صدقك وهو كذوبٌ، ذاك شيطانٌ)، وأما كون الآية تصرع الجِنِّيَّ فهذا مما يتداوله أصحاب الرُّقَى ولم أجدْ نَصًّا مرفوعًا فيه.

الباعثُ العاشرُ لصحبة سورة البقرة:

كيف يُزْهِرُ البيتُ وأهله بسورةِ البقرةِ

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ»، قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ»، قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا»، قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ»، قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا»، قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً»، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟»، قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ»، قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا»، قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟»، قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً»، قَالَ: «فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ»، قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[١].

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨).

فهؤلاءِ الملائكةُ الكرامُ لا يعنيهم إن كانَ هذا بيتَ فلانٍ أو علانٍ، أو كان هذا في هذا البلدِ أو ذاكَ، أو إن كان في المدينةِ أو القريةِ، أو كان في البرِّ أو البحرِ أو الجوِّ أو المراكبِ، أو كان قصرًا أو كوخًا أو خيمةً، أو كان في بلادِ الإسلام أو ديارِ الكفارِ... فهي تجوبُ كل الطرقاتِ، ومطلبُها مجالسُ الذكرِ... فإذا ما أدركتْ مجالسَ الذكرِ تنادَوْا أن هَلُمُّوا إلى حاجتِكم...

فهلْ من بَيتٍ يقدرُ أهلُه أن يُذكروا عندَ اللهِ ـ سبحانه ـ ثم يفرِّطون هذا التفريط؟!

هلْ مِنْ بَيتٍ يستطيعُ أهلُه أن يَجْمَعوا الملائكةَ إلى بيتهم ثُمَّ لا يفعلون؟!

هلْ من إكرامٍ يرجوه أهلُ بيتٍ مثلُ هذا الإكرامِ، وبهذه الصورةِ العجيبةِ، ثمّ هم لا يفعلون؟!

فكم يكلِّفُ هذا الإكرامُ...؟!

وما هيَ المائدةُ التي تَنصِبُها للملائكةِ المختصين بهذا...؟!

أتقدِرُ أيها المسلمُ على استدعاءِ ملائكةِ اللهِ هؤلاءِ وفي هذا اليوم.. الملائكة الذين سوفَ يذكرونك وأهلك وبيتك عند ربك اليوم... ثم أنت لا تحرص عليه هذا اليوم ولا تفعله كل يوم؟!

ألا يكونُ هؤلاءِ الملائكةُ شهودًا يومَ يحتاج العبدُ إلى شهودٍ؟

ألا يكونون شفعاءَ إذا ما احتاجَ أهلُ هذا البيتِ إلى شَفَاعَةٍ؟

كيفَ إذًا لا ينعقدُ مجلسُ سورةِ البقرةِ كلَّ يومٍ في هذا البيتِ...؟

أفلا يستحقُّ هذا البيتُ أن يكونَ مباركًا...؟

فإذا لم يكنْ هذا البيتُ مباركًا، فأيّ بيتٍ يستحقُّ أن يكونَ مباركًا؟!

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَجْعَلُوهَا قُبُورًا، كَمَا أَعَدَّتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بُيُوتَهُمْ قُبُورًا، **وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيُتْلَى فِيهِ الْقُرْآنُ فَيَتَرَاءَى لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُومُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ**» (١).

تعيشُ بيوتُ الأرضِ في ظلمةٍ لا يَرَى منها أهلُ السماءِ بيتًا منيرًا إلا البيوتَ التي يُقرأ فيها القرآن...

فيا له من مقامٍ يحفظُه أهلُ السماءِ لأهلِ هذا البيتِ يومَ القيامةِ.

إذًا، فهو الوفاءُ عند الملائكةِ حتى إذا ما حُشِرَتِ البيوتُ يومَ القيامةِ جاءت الملائكةُ شاهدةً عند ربها سبحانه لهذا البيت الذي تحبه، بل لو نُكِبَ هذا البيتُ في الدنيا أو أَظلمَ افتقَدَهُ أهلُ السماءِ... وشفعوا له كما شفعتِ الملائكةُ ليونسَ عليه السلام حينَ ابتلعه الحوتُ فَتَفَقَّدَتْهُ فشفعتْ له كما رُوِي.

بلْ إنَّ لسورةِ البقرةِ خصوصيةً أخرى عجيبةً، هي واللهِ حقّ عجيبة؛

فعنْ جريرِ بن زيدٍ أن أشياخَ أهلِ المدينةِ حَدَّثوه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قيلَ له: ألم تر ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شِمَاسٍ لم تَزَلْ دارُه البارحةَ تَزْهَرُ مصابيحَ؟ قال: «فلعلَّه قرأَ سورةَ البقرة» فسُئِل ثابتٌ، فقال: «قرأتُ سورةَ البقرةِ»(٢).

إنَّ هذا النورَ الذي أشرقَ ولا يزالُ يزهرُ على بيتِ ثابتِ بن قيس بن شماس

(١) فضائل القرآن للفريابي (٣٥)، وقال الألباني في الصحيحة (٣١١٢): إسناده جيد.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب فضل قراءة القرآن والاستماع إليه صفحة (٦٦)، وذكره ابن كثير في تفسيره ونسبه لأبي عبيد وقال: إسناده جيد إلا أن فيه إبهامًا وهو مرسل.

آنذاك قد عَرَفَ سرَّه رسولُ الله ﷺ... إنها سورةُ البقرةِ.. وإن هذه السورةَ التي جعلت ذاك البيتَ مُزهرًا كما رآه الصحابةُ ـ رضوان الله عليهم ـ هي التي تجعل هذا البيت كل ليلة كذلك، فلقد أراد الله ـ سبحانه ـ أن يبيِّنَ بعضَ فضلِها لعبادِه من خلالِ بيتِ ثابتِ بن قيس رضي الله عنه.. ليدعوهم لهذا السببِ الذي به تزهرُ البيوتُ... وليتناقلوه إلى يومِ القيامةِ فيعرفوا ذلك، فيعملوا ويستمسكوا...

ولا يشترطُ أَن يراهُ الناسُ اليومَ بأعينهم، حاله في ذلك حال ليلة القدر التي لا يشترطُ أن يراها الناسُ، رغم أنها في كل رمضان تقع، والناس يسهرون طوال ليله ما بين قائم وعامل ولاعبٍ لاهٍ..

وإن السورةَ التي جعلت البيتَ يزهرُ حين قُرِئَتْ فيه لتجعلَ أمةَ محمدٍ ﷺ كلّها تزهرُ إذا ما قرأت في بيوتاتها، وأقيم حقها على الأمة...؟

فيا أمةَ سورةِ البقرة... ويا أمةَ القرآنِ: أَلا اعرفوا لماذا البقرةُ.. وماذا يمكُن أن تصنعَ سورةُ البقرةِ للأمةِ كلِّها، والأمةُ في هذا الحالِ الذي لا يعلمُ به إلا اللهُ ﷻ ، فإنَّ ما تصنعُهُ سورةُ البقرةِ في بيتٍ واحدٍ تصنعُهُ في الأمةِ كلِّها.

الباعث الحادي عشر لصحبة سورة البقرة:

حافظُ البقرةِ منفردٌ في الذكرِ.. منفردٌ في الأجر

إنَّ أصعبَ شيءٍ على الشيطانِ هو ذكرُ اللهِ، ولو بكلمةِ ذكرٍ واحدةٍ.. وإنَّ أصعبَ شيءٍ عليه في الذكرِ هو شيءٌ من القرآن الكريم... فكيفَ بسورةِ البقرة..؟

ولكَ أن تتصورَ ماذا تعني سورةُ البقرةِ في الذكرِ، وماذا تعني سورةُ البقرة في الأجر.

وقد بيَّنت قبل قليل أَنَّ سورة البقرة تعني مائتين وستًا وثمانين آية كريمة... فكم مرةٍ كرَّر القارئُ هذهِ الآيات حتى حَفِظَها.. سورةُ البقرةِ تعني (٢٥٦١٣) حرفًا، خمسة وعشرين ألفًا وستمائة وثلاثةَ عَشَرَ حرفًا، فلوْ أنَّ حافظًا لسورة قرأها لأجل أن يحفظها وكرَّرها مائة مرة مثلًا ليحفظها والحسنة بعشر أمثالها فالمعادلة البشرية كالآتي: ٢٥٦١٣ × ١٠٠ × ١٠ = ٢٥٦١٣٠٠٠ يعني خمسة وعشرين مليونًا وستمائة وثلاثة عشر ألفًا.

هذهِ رحلتهُ وهذا حصادُها إلى أن يحفظَ سورةَ البقرةِ فقطْ... فكيفَ بحصادِها بعد حفظِها، وهو الذي من أجلهِ حَفِظَها.. كيف بحصادِها إلى أن يلقى اللهَ ﷻ، والمسألةُ محسوبةٌ كما جاء عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١).

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٩١٠)، وقال هذا حديث صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٣٤٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ استمعَ إلى آيةٍ مِنْ كتابِ اللهِ تعالى كُتِبَ له حسنةٌ مضاعفةٌ، ومَنْ تَلاها كانت لَهُ نورًا يومَ القيامةِ**»(١).

فكمْ من نورٍ في سورةِ البقرةِ يدَّخرُهُ اللهُ سبحانه لصاحبِها يومَ القيامةِ، وكم تكونُ حاجةُ الإنسانِ للنورِ عظيمةً يومَ القيامةِ... إذ به يتميزُ فيعرفه به أهلُه، ويعرفُه به الشفعاءُ، ويعرفُه به رسولُ الله ﷺ، ويعرفُه به كذلك المحتاجون لشفاعتِهِ.

وحاجةُ الإنسانِ للنورِ عظيمةٌ، إذ الظلمةُ هِيَ السمةُ العامةُ على الأجواءِ لِمَنْ هو في ظلامٍ يتخبَّطُ، ولا يستطيعُ المشيَ وهو ملزمٌ به، ولا يستطيعُ أن يرى طريقَهُ ولا تحتَ قدميه، وكم تشتدّ الحاجةُ إلى النورِ عندَ الصراطِ... ومن ذا يستطيعُ العبورَ على الصراطِ ولا نورَ له، أو له نورٌ يضيءُ وينطفئُ... بينما الصراطُ دَحْضٌ مَزَلّة وهو أَحَدُّ من السيفِ.. فكيفَ إذا علمنا أنّ سرعةَ العبورِ على الصراطِ تعودُ إلى قوةِ نورِ الشخصِ وضعفِهِ...

لذا ذكرَ النبيُّ ﷺ حالَ العابرين على الصراطِ، فقال ﷺ: «**يُجْمَعُ الناسُ يومَ القيامةِ... إلى أن قال: فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ قَالَ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْـجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمُهُ، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزِلَّةٍ فَيُقَالُ: انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ**

(١) رواه أحمد (٨٤٧٥)، وقال السيوطي في الدر المنثور: إسناده حسن.

كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، وَيَرْمُلُ رَمَلًا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ قَالَ: يَجُرُّ يَدًا وَيُعَلِّقُ يَدًا وَيَجُرُّ رِجْلًا وَيُعَلِّقُ رِجْلًا وَتَضْرِبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلَصُوا فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكِ بَعْدَ الَّذِي أَرَانَاكِ لَقَدْ أَعْطَانَا اللهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا»[(١)].

فَلِمَنِ النورُ؛ أهو للذي استمعَ إلى آيةٍ؟ أم للذي تلاها؟

فيا عجبًا لشأن الحافظِ؛ فإنه يستمعُ أَوَّلًا، ثمّ هو يقرأُ ويرددُ ثانيًا، ثمّ يتعلمُ ويحقّقُ ويدقّقُ فيتلو ثالثًا، ثم هو يُعَلِّمُ غيرَه رابعًا، وبهذا حاز الحافظ كلَّ أنواعِ الأجورِ.

فإذا نظرنا إلى سورةِ البقرةِ بمنظارِ الأذكار هنا؛ فسوف نجد قراءةَ سورةِ البقرةِ سوف تزيد على الأذكار أجرًا وتحصينًا وبركة ابتداءً من تعليم قراءتها القراءة الصحيحة وذلك لكلّ آية فيها، إلى أن ينتهي منها ويتمّها... فإنّ الأمرَ لا يمكنُ إحصاؤُه أبدًا حتى من ناحيةِ الأحرفِ الموجودةِ، فكيفَ يمكنُ إحصاؤها على الأجور الموعودة؟! ونهايتها بفضل اللهِ غير محدودة.

أليسَ مَن يريدُ الحفظَ يبدأ يكرِّرُ ما لا يُحصى حتى يحفظ عن ظهرِ قلبٍ؟! ألا يمضي عليه الوقتُ وهو يكررُ كلامَ ربِّه سبحانه؟! فإذا حفظَ الآيةَ انتقلَ إلى التي بعدها ويعملُ كما عمِلَ في الآيةِ السابقةِ، ثمّ يربطُ الآيتينِ، وهكذا يضمُّ إليها الثالثةَ... فإذا أتمّ حفظَ مقررِ كلِّ يومٍ أخذَ يكررُه.. ثمّ هو يقرؤُه في صلاتِه وربما

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣٤٢٤)، عن ابن مسعود، وصححه الألباني في (شرح العقيدة الطحاوية) صفحة (٤١٥).

قام به ليلَهُ، فإذا ابتدأَ حِفظَهُ لليومِ الجديدِ ضمّ إليه حفظَ الأمسِ أولًا، بعدَ مَا يحفظُ محفوظَ اليومِ، بنفسِ طريقةِ الأمسِ، حتى يصبحا محفوظًا واحدًا، عند مراجعتها، وعند الصلاة بها، وغير ذلك...

وهكذا يمضي البرنامجُ، وتمضي أنتَ به، إلى أن تُتِمَّ حفظَ سورةِ البقرةِ بأكملها...

ثمّ الآية الواحدةُ حسنتُها مضاعفة، فوَصَفَ رسولُ الله ﷺ حسنتَها بأنها حسنةٌ مضاعفةٌ.. وهذهِ تختلفُ عن مضاعفةِ الحسنةِ على الحرفِ، فكَونُ الحسنةِ على الحرفِ الواحدِ شَيءٌ وكونُ حسنتِها مضاعفةً شيءٌ آخر...

الآيةُ حسنتُها مضاعفةٌ بطبعها وطابعها الذي طَبَعَها الله به، فإذا ما ضاعَفَ اللهُ حسنتَها فإن المضاعفةَ لحسنتها تأتي على المضاعفةِ بطبعِها الذي طَبَعَهَا الله به، فهيَ مضاعفةُ المضُاعَف.. فكيفَ سيكونُ شأنُ المضاعفاتِ على أطول السور وأكثرها آيات في القرآن الكريم.

كيفَ وكلّ مَن حفظَها حافَظَ عليها، ولازمَ صحبتَها، وهذا يقتضي أنه يقرؤُها في العادةِ في جلسةٍ واحدةٍ، ويقوم بها في الصلاة لليلةٍ واحدةٍ، أو لياليَ.. وهي عليه سهلة...

وعلى هذا يستمرُّ إلى أن يلقى رَبَّه...

أرأيتَ كيفَ أنه لا يمكنُ للبشرِ أن يحصُوا أجرَها، ولا أن يعرفوا قَدْرَ ذكرهم الله وكثرة أجره لعظمتها.

ثُمّ كمْ من الأجورِ والرفعةِ عندَ اللهِ ﷻ لِمَنْ التزمَ تحفيظَ الناسِ سورةَ البقرةِ بعدَ ذلك؟!

وأخيرًا يجب أن تعلمَ أن حاجةَ الناسِ لأهلِ القرآنِ من حاجةِ الناسِ للقرآنِ.. وإلا فما الفارقُ بينهم وبين سواهم.

فأينَ هم أهلُ القرآنِ... بحقّ؟!

وأينَ هم أهلُ سورةِ البقرةِ... بحقّ؟!

فهل عَرَفتَ بعضَ علم حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي مَرَّ معنا حيثُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ استمعَ إلى آيةٍ مِنْ كتابِ اللهِ تعالى كُتِبَ له حسنةٌ مضاعفةٌ، ومَنْ تَلاها كانت لَهُ نورًا يومَ القيامةِ**»(١).

(١) رواه أحمد (٨٤٧٥)، وقال السيوطي في الدر المنثور: إسناده حسن.

الباعث الثاني عشر لصحبة سورة البقرة:

إنها الحصن الأكبر من عذاب القبر

يا لحاجة العبد لسورة البقرة إذا لم يُخَلِّصْهُ في قبره شيء إلا سورة البقرة، كيف إذا وجد هناك أن قلبه صِفرٌ منها؟!

أي شيء يتمناه المرء وهو على أبواب الرحيل من الدنيا أكثر من صاحب خبير، محبٍّ، قوي، شافع، مُشَفَّع، مسموع الكلمة، يصحبه ويلازمه في الحياة القادمة، هناك سيتذكر المُقصِّر هذا الصاحب الذي عُرِضَ عليه في الدنيا فلم يأبه؛ إذ عُرض عليه حفظ القرآن فلم يأبه، وعُرض عليه حفظ سورة البقرة فَفَرَّطَ وأهمل ولم يجدَّ ولم يعط الموقف حقه!

إذنْ فليعلم كل واحدٍ منا: أنه لو صحبك الأهل والصحب جميعًا ما قاموا مقام صحبة القرآن الكريم لو اخترته، ولو صحبك القرآن الكريم كله بما فيه سورة المُلْك الكريمة المنجية من عذاب القبر وليس معك حفظ سورة البقرة...ما قام ذلك كله – وكله كريم وعظيم –... مقام سورة البقرة.

إذًا، فالآن الآن امض عقد الصحبة هذا، الآن اخترها صاحبة وأهلًا.... ثم كن في غاية الرجاء والسكينة والطمأنينة ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

فعَنْ أَبِي عِمْرَانَ: أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ تَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أَغَارَ

عَلَى جَارٍ لَهُ، فَقَتَلَهُ، وَإِنَّهُ أقيدَ بِهِ، فَقُتِلَ، فَمَا زَالَ الْقُرْآنُ يَنْسَلُّ مِنْهُ سُورَةً سُورَةً، حَتَّى بَقِيَتِ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ جُمُعَةً، ثُمَّ إِنَّ آلَ عِمْرَانَ انْسَلَّتْ مِنْهُ، وَأَقَامَتِ الْبَقَرَةُ جُمُعَةً، فَقِيلَ لَهَا: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩] قَالَ: فَخَرَجَتْ كَأَنَّهَا السَّحَابَةُ الْعَظِيمَةُ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أُرَاهُ، يَعْنِي: أَنَّهُمَا كَانَتَا مَعَهُ فِي قَبْرِهِ تَدْفَعَانِ عَنْهُ وَتُؤْنِسَانِهِ، فَكَانَتَا مِنْ آخِرِ مَا بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ(١).

إن أعظم الذنوب بعد الشرك بالله والكفر به هو العدوان على حق الغير، وأعظم ذلك قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأعظم ذلك قتل المؤمن أخاه المؤمن، ولهذا فإن هذا الحديث في تصوير دفاع سورة البقرة عن صاحبها أمرٌ لا يبلغه تصوير، بل هو الدفاع الحقيقي؛ فهذا رجل قتل مؤمنًا وقتل جارًا في عهد النبي ﷺ، وهو يحفظ القرآن...فأي حجة قد قامت عليه مثل هذهِ الحجج....فمن ذا يجرؤ أن يدافع عنه وثمة وعد قاطع من الله؟!

فعن ابْن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»(٢).

وعَن الْبَراء بن عَازِب رضي الله عنه أَن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»(٣).

وعَن عبد الله بن عَمْرو قَالَ: رَأَيْت رَسُول الله ﷺ يطوف بِالْكَعْبَةِ وَيَقُول: «مَا

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٥٤)، وفضائل القرآن للقاسم بن سلام ص (١٢٦)، وقال محمد بن رزق طرهوني في موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (١/ ١٢٠): حسن وهو من قبيل المرفوع.

(٢) رواه البخاري (٦٨٦٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٦١٩)، وصححه الألباني.

أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا»(١)

وَعَن أبي الدَّرْدَاء ﷺ قَالَ سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: **«كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»**(٢)

وعن ابْنِ عبَّاسٍ ﷺ؛ أنَّه سأَله سائلٌ فقال: يا أبا العبَّاسِ! هل للْقاتِلِ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقال ابْن عبّاسٍ كالمُعْجَبِ مِنْ شَأْنِهِ: ماذا تقول؟! فأعادَ عليه مسْأَلَتَه. فقال: ماذا تقولُ؟! مرَّتين أو ثلاثًا. ثم قال ابْنُ عبَّاسَ: أنَّى له التَوبَةُ! سمعتُ نَبيَّكُمْ ﷺ يقول: **«يأتي المقتولُ مُتَعلِّقًا رأسَه بإحْدى يَدَيْه، مُتَلبِّبًا قاتِلَه باليدِ الأخْرى، تَشخَبُ أوْداجُه دَمًا، حتَّى يأتيَ بِه العَرْشَ، فيقولُ المقتولُ لِربِّ العالمينَ: هذا قتَلَني. فيقولُ الله لِلْقاتِلِ: تَعِسْتَ وُيذْهَبُ بِه إلى النارِ»**(٣).

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إذا أَصْبَح إبليسُ بَثَّ جُنودَه فيقولُ: مَنْ أَخْذَلَ اليومَ مُسلمًا أُلبِسُه التاجَ، قال: فيجيءُ هذا فيقولُ: لَمْ أَزَلْ به حتَّى طَلَّق امْرأَتَهُ، فيقول: أَوْشَكَ أنْ يتَزَوَّجَ. وَيجيءُ هذا فيقولُ: لَمْ أَزلْ به حتى عقَّ والدَيه، فيقولُ: يوشِكُ أنْ يَبرَّهُما. وَيجيءُ هذا فيقولُ: لَمْ أَزَلْ به حتّى أَشْرَكَ، فيقولُ: أَنْتَ أَنْتَ. وَيجيءُ هذا فيقولُ: لَمْ أَزَلْ به حتى قَتَل. فيقول: أَنْتَ أَنْتَ، ويُلْبِسُه التاجَ»**(٤).

فالقرآن كله يخرج سورة إثر سورة.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٣٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٤٢٠).
(٢) رواه أبو داود (٤٢٧٠)، وابن حبان في صحيحه (٥٩٨٠)، وصححه الألباني.
(٣) صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٤٧).
(٤) صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٤٩).

وقيل لها ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩]، فلا مجال للبقاء ولا الرجاء لأن الله -سبحانه- هو المتحدث هنا.

وبالإضافة لهذا فإن هذا الذنب هو قَتْل النفس التي حرم الله قتلها، وهو من الموبقات، والموبقات هي التي لا تترك صاحبها حتى تلقيه في جهنم، فكيف وقد وقعت جريمة القتل على يد رجل قد عوهد عهدًا هو أعظم من عهد الذمي إذ هو جار مسلم!

نعم إن التفرد هنا هو لسورة البقرة، حتى سورة آل عمران خرجت والتي هي صاحبة سورة البقرة في الدنيا وفي المحشر وفي كل المواطن... إلا أن الأمر هنا مهول، ولهذا قال الله وقوله الحق سبحانه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ فهذهِ الكلمة العظيمة ما قيلت من أول مرة ولا ثاني مرة ولا ثالث مرة، إنما قيلت عندما خرجت جميع السور وبقيت سورة البقرة، فهي إذًا المُحَاجَّة العظيمة من سورة البقرة عن صاحبها، والمدافعة، والمناشدة من كلام الله إلى الله -سبحانه- ومِنْ أكبر سورةٍ في القرآن لله رب العالمين فكان هذا القول الذي أخرجها ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩]، ومع هذا فما غادرت كما غادر القرآن كله من فوره سمعًا وطاعة لله رب العالمين، لكنها وقفت عند أقرب نقطةٍ على قبر صاحبها وحبيبها لا تقوى على فراقه، ولا تستطيع البُعْدَ عنه؛ حبًا أعظم من محبة الأم، وحنينًا أعظم من حنينها حين يُفرَّقُ بينها وبينه، وهنا نستطيع أن نتصور بعض تصور كيف حاجَّت عن صاحبها، وماذا قالت لربها، و كيف تذللت لله ﷻ لأجل حبيبها، وكيف شَدَّت في مناشدتها وإلحاحها.

وهكذا فإن سورة الملك عظيمة لكن سورة الملك غادرت مع سور القرآن

قبل سورة آل عمران... إلا أنها لعظيم صنعها بالنسبة لحجمها قال النبي ﷺ «**ثَلَاثُونَ آيَةً**»(١)، ثم إن صُحْبة سورة الملك هي أن تقرأها كل ليلة، أو كل يوم ولعلها شفعت لصاحبها من الصغائر، وأكثر عذاب القبر من البول حتى يتطهر المؤمن عند البعث والنشور، أما صحبة سورة البقرة فلا يشترط لقراءتها كل يوم، ثم لا يوقفها أو يرد شفاعتها حتى الكبائر والموبقات عند القصاص منها - والله أعلم-.

إن قوله -سبحانه- لسورة البقرة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ إنما يعني أن لا مجال إلا أن تخرج من قبر صاحبها بعدما بقيت طوال الفترة السابقة منذ دفنه إلى هذا الوقت وهي تمنع العذاب عنه وتنافح وتناضل عن صاحبها.

ولهذا وصف النبي ﷺ خروجها بقوله: «**فَخَرَجَتْ كَأَنَّهَا السَّحَابَةُ الْعَظِيمَةُ**» فكم هي حاجة العبد في قبره إلى الظل، والبراد، والهواء الطيب، والماء، فهكذا تحولت سورة البقرة عليهِ... وإلا لِمَ كانت البقرة على صاحبها «**كأنها السَّحَابَةُ الْعَظِيمَةُ**» وهل لتشبيهها بالسحابة من فائدة لولا وصول ظلها وغيثها إلى صاحبها وانتفاعه به من أقرب نقطة إذ مُنِعت الآن من صحبته في مرحلته هذهِ في داخل قبره.. وهل لو كانت سحابة عظيمة كبرى حقيقة وصبَّتْ على قبر صاحبها ما فيها من ماء.. لما وصل إليه؟! بلى والله يصل وينتفع وينتعش كما يصل غيث السحابة إلى الناس فوق الأرض.. ثم أي شيء يحتاجه من في الحر والعذاب أكثر من الماء ولهذا أوصى النبي ﷺ سعدًا بأن يتصدق بالماء لأمه حين ماتت. فكيف وهي السحابة العظيمة على القبر كما أنها الظُّلَّة العظيمة الكبرى في أرض المحشر.

(١) رواه أبوداود (١٤٠٠)، وحسنه الألباني.

فكيف وهي السورة الكبرى لكلام الله الكريم سبحانه، أما خروج سورة البقرة من قبر صاحبه القاتل جاره فلعله مثل تحلة القسم لإنفاذ وعد الله ﷻ، فلقد كان هذا هو نص التعليل الذي لأجله خرج القرآن، فما يَمَسُّهُ من نصيب من العذاب -والله أعلم- بعد خروج سورة البقرة كان مثل تحلة قسم سيدنا أيوب عليه السلام في يمينه بضرب زوجه مائة ضربة حيث قال الله -سبحانه-: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤].

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق:٢٩] فقد انحلَّ وتم بمجرد خروج سورة البقرة، وبهذا خَلَّص القرآن صاحبه وخلصته البقرة خاصة من أعظم عذاب في قبره، وهذا خاص بالقاتل جاره إذا حفظ القرآن أو حفظ بعضه بشرط أن تكون معه سورة البقرة... فلا يستوي هو وغيره من القتلة الذين لا يحفظون القرآن ولا يحفظون خاصة سورة البقرة، ثم إنه «أُقيدَ بِهِ»، فهل بعد هذا من فضل وحماية يرجوها الإنسان.... وهل العاقل يؤخر حفظ سورة البقرة وهي تنجيه من أكبر الذنوب في البرزخ فما بالك بما هو دونها من ذنوب؟!

والحمد لله على هذا الفضل العظيم.

وليس هذا آخر عهدها بصاحبها بل سوف تأتيه المرحلة الجديدة وذلك إذا قامت الساعة وقام الناس للحساب، وهنا تكون شفاعتها أعظم.

الباعث الثالث عشر:

إنها الباعث الأكبر على حفظ القرآن كاملًا

أيها المعلم: ليس المطلوب أن تصنع في هذا المشروع صورة حافظ ولا اسم حافظ لسورة البقرة سُجّل اسمه في ملفات التحفيظ.... بل تصنع حافظًا متقنًا لسورة البقرة كحفظه لسورة الفاتحة في نهاية الأمر.... فإذا فعلت ذلك فاعلم أن البشرى به كحافظ للقرآن جديد قد أهلَّت -بإذن الله- فاسجد من لحظتها لله شكرًا، فإن سورة البقرة سوف تجتذب بإذن الله كل القرآن إليها وأول ما تجتذب إليها سورة آل عمران، ثم ألم يقل النبي ﷺ: «**فإن أخذها بركة** » وحفظ القرآن سيكون ألصق بركاتها بل وأكبر بركاتها عليك، و يا لها من بركات تفضي إلى بركات بعدها!

إنك لا تعرف كيف تولد النوايا الجديدة في القلوب، ولا تعرف كيف تبعث العزائم، ولا كيف ينطلق الإنسان العزوم بعد ما يتذوق النجاح في طريقٍ ظنه مستحيلًا.

يخطأ من يظن أن تركيزنا على حفظ سورة البقرة إنما هو على حساب حفظ القرآن الكريم كاملًا.

انظر في القرآن الكريم كله فإنك لن تجد في سورهِ -بعد فاتحة الكتاب- لها من الفضائل مثل ما ورد في سورة البقرة... وانظر في آيات القرآن الكريم كله فلن تجد من الفضائل في آيات أي سورة كريمة مثلما ورد في آيات سورة البقرة...

وانظر وانظر ثم انظر وأَنّى نظرت فسوف تجد كل شيء يدعوك إلى تقديم حفظها أولًا لتقديم الله ﷻ لها في الفضائل....

ثم انظر وسوف تقدمها لتقديم الله ﷻ لها في المصحف، أما من أراد أن يحفظ القرآن من أول مرة مبتدئًا بسورة الناس فهذا يعود للمنهج الذي يتبعه، كما أنه ابتدأ بالغاية وذروة المطلوب هو حفظ القرآن كاملًا.

وفوق هذا فإنه حقَّق البركة وأثبتها حين حفظها وأتقنها لأنه يعلم أن طبع البركة أن تعمَّ على من حولها كما قال -سبحانه-: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء:٥٠]، وقال -سبحانه-: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام:٩٢]، وأي شيء حول سورة البقرة من القرآن الكريم، وأي شيء ألصق بسورة البقرة من سور القرآن الكريم المترابطة في الكتاب الكريم والذكر الحكيم.

وكم وكم من رجل استكثر على نفسه حفظ القرآن الكريم كاملًا بل كان يَعدُّه مستحيلًا، حتى ابتدأ بحفظ سورة البقرة فحفظها وأصبح ماهرًا في حفظها، فأنزل الله في قلبه الثقة المطلقة بسهولة حفظ القرآن الكريم كاملًا... فانطلق في مشروع الحفظ فإذا بسورِ القرآن الكريم تتسابق إلى السورة الكبرى وتفيء إليها من عظيم سهولتها بعد البقرة وتسارعها للحاق في الدخول إلى الصدر الذي احتضن سورة البقرة فكان حفظ البقرة هو المحضن الذي تَرَبَّتْ فيه حافظته واتسعت لتضم بقية سور القرآن الكريم.

ليس العجب أن يحفظ الرجل سورة البقرة ومعها بعض سور القرآن ولكن العجب أن يحفظ الرجل ما يحفظ ويترك حفظ سورة البقرة!

أليست البقرة هي سنام القرآن الكريم...أليس السنام هو الذروة ولا يمكن بلوغه إلا بالصعود إليه....أفترى من بلغ ذروة سنام في أعلى الأشياء وأشرف المقامات بجهدٍ ومعاناة يمكن أن يتنازل عن ذروته العلية؟!....إذًا فلنعلم أن تمسُّك الإنسان بالذروة يكون بمقدار شرفها وما تستحقه، وبما أن لا أشرف من القرآن ولا أشرف من ذروة سنامه فإن ذهاب روح من حَفِظَ البقرة وتلذَّذ بها أهون عنده من التفريق بينه وبينها.

الباعث الرابع عشر لصحبة سورة البقرة:

محبة وجه رسول الله الكريم، ومحبة قلبه الرؤوف الرحيم ﷺ

هنا -في سورة البقرة المباركة- وجهُ رسول الله ﷺ يشرق في السماء ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]... وهنا قلب رسول الله ﷺ ينير الأرض ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧].. هنا تجد في سورة البقرة تجد رب العالمين وكيف يقدِّم رسوله ﷺ حتى على مَنْ تقدَّمه من الأنبياء الذين تقدَّموه عليهم السلام وجودًا وخُلُقًا وأبوَّة، فقال - سبحانه -: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ١-٤]، وكما قدَّمه الله -سبحانه- في مطلع السورة ومطلع النبوات فقد قدَّمه على خَلْق أبيه آدم عليه السلام بالذِّكْرِ فقال - سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: ٣٠] فلا والله ما قدَّمه الله عبثًا ولا لأن سياق الكلام يقتضي ذلك، بل قال أولًا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ [البقرة: ٣٠] ربك أنت يا محمد، لأنه المقدَّم عنده وكأنه ﷺ هنا في استقبال الخلق عند أول ذِكْرٍ للخلق بعد إذ لم يكن آدم عليه السلام طينًا وما هو وأين هو ﷺ في ترتيب الخلق من آدم ومن الأنبياء عليهم السلام، وكأنه بهذا يكون رسول الله ﷺ في استقبال مَنْ أقبل على سورة البقرة تعظيمًا له

ﷺ وإنه لعظيم وتشويقًا للمقبل على حفظها وتعلُّمها وتعليمها إذ هو أول المذكورين بقوله -سبحانه-: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [البقرة: ٤].

ولن تجد باعثًا على حفظ سورة البقرة مثل طلب وجه رسول الله ﷺ الكريم ومحبته، ومحبة مركز الحب وهو قلبه ﷺ ولهذا أسرار وأسباب عظيمة.

لن تجد رسول الله ﷺ في موضع في الدنيا مثلما تجده هنا في سورة البقرة مع ربه، وبكلام ربه، وبخطاب ربه، وبحديث الله -سبحانه- عنه ﷺ...

هنا لا تفتأ تجد رب العالمين يقدِّمه أمام الخلق وأنت تنظر... يقدِّمه تصريحًا ويقدِّمه تلميحًا. هنا يحدِّثه - سبحانه - بالنداء الصريح ويحدِّثه بالنداء اللطيف والتلميح.. هنا الإشارة من رب العالمين ﷻ لرسول الله ﷺ لا تكاد تنقطع في كل المواضع، ولئن فاتتني وفاتتك فوالله ما فاتت رسول الله ﷺ أبدًا ومن المستحيل أن الله ﷻ يريده وهو لا يدري فهذا هو رسول الله ﷺ. وإذا ما أنعمت النظر أكثر وجدت البشائر في سورة البقرة تصبّ على رسول الله ﷺ صبًا ولذا فهو في فرح بآيات الله لا ينقطع؛ شكرًا متصاعدًا إلى الله ﷻ أبد الآبدين... ولقد تتبعت الظاهر من البشائر في سورة البقرة وحدها لرسول الله ﷺ فإذا بها أكثر من مئة بشارة... وكم وكم يلتفت الله ﷻ أثناء الحديث بمواضيعه المختلفة إلى رسول الله ﷺ فيتنبَّه قلبه ﷺ وما كان غافلًا لكنه تنبُّهٌ من نوع آخر.. حيث ينقطع كل تعبير عن بلوغ ما يحل بقلب رسول الله ﷺ من الفرح والفخر والمِنَّة لربه ﷻ بالتفاتة رب العالمين إليه ﷺ. وليس الموضوع موضوع إحصاء واستقصاء... فهذا مستحيل، فهنا في سورة البقرة أمر عظيم بل أمور عظيمة.. وأي أمورٍ هنا؟!

هنا يبعث الله بكلماته التامات الحياة في حياة رسول الله ﷺ فإذا به ليس كَسِوَاهُ؛ حياةً وتفاعلًا وتواجدًا في صلاةٍ وصيامٍ ويقظةٍ ومنام وحركة وسلوك حتى إنه لشدة تواجده وحيويته تنخلع القلوب وتنهمر الدموع إذا جيء على ذكر موته، فكأنه الحي وقد كنا في معيَّتِهِ وإذا به قد مات في هذهِ اللحظة، فأصبح خبر وفاته هذا هو الفاجعة التي أنست المسلمين كل فواجعهم.

أنْعِم بكتب الحديث، وكتب السيرة، وكتب الشمائل المحمدية....! لكن السؤال هنا: هل يوجد كتاب من هذهِ الكتب أو غيرها مما كتبه العلماء مثل كتاب الله ﷻ في سيرة النبي ﷺ؟!

ألم يتوقف الصحابة رضي الله عنهم ورواة السيرة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على الحديث عن ظاهر الحَدَث، وظاهر المعركة، وظاهر السيرة، لأنهم لا يعلمون الغيب.

ثم أين كلمات البشر من كلمات الله التامات؟!

أين حديث ربنا العليّ العظيم الذي حديثه – سبحانه – أحسن الحديث من حديث الناس الذي فيه ما فيه من صفات الناس؟! إنه حديث الله ﷻ عن حبيبه ومصطفاه ﷺ، ولذا علينا إن أردنا أن نبلغ بحديث الله عن رسوله ﷺ حَقَّه في القرآن.. فَلْنُعِدْ الأمر إلى أصله، وأصله أن الله –سبحانه– هو من يتحدث... وكفى.

فحديث الله عن رسوله ﷺ وسيرته وحياته وخلقه هو حديث معجز يصطبغ بخصائص كلام الله، ويتحدَّى الله به الخلائق جميعًا.... وكلام الله عن سيرة رسوله ﷺ وأحداثها إنما هو حديثُ عالم الغيب والشهادة.... وهذه حقيقة منطقية لا تفارق كلام الله مطلقًا، سواء كان الحديث عن دواخل نفوسهم أو عن

خارجها، ما خفيَ وما ظهر على حد سواء، وهو حديث لآخِرِ هذهِ الأمة كما هو لأولها على حدٍ سواء، وهو الحديث الحي الذي لا يموت بل حديثه -سبحانه- هو الحديث الحي الذي يبعث الحياة في الأحياء... فسرت الحياة في سيرته ﷺ وذلك من سر الحياة في كلام الله الحي القيوم وهكذا في كل ما يذكره الله -سبحانه- عن رسوله ﷺ.

إن هذا في كل آية تحدثت في السيرة... في كل عبارة وكلمة من كلمات الله ﷻ.... ففيها الهداية.... وفيها الخلود... وفيها مخاطبة القلوب. إن الحديث في هذا الأمر ضروري.... لما فيه من تصحيح الفهم الشائع، وإعادة الترتيب الصحيح للمصادر، وبعث الكثير من مزايا كلام الله ﷻ في حياة رسوله وحالاته وسريرته.

فحديث السيرة من رب العالمين فيه النور ينبعث من سيرته، فيه الهُدَى الذي لا يتوقف حتى يستقر في القلوب هدايةً -ولا يملك الهدى إلا الله-؛ فيه العلاج الشامل الدائم لحياة الأمة كلها ومشاكلها، والوقاية مما يُتخوف منه، فيه الرباط الحقيقي مع أسماء الله الحسنى، فمنها تتجلى عظمة أسماء الله الحسنى على الحوادث والأحداث وليس مثل هذا منهجًا راسخًا وعميقًا في فهم أسماء الله الحسنى بل في معايشة آثار تجلياتها...كما أن فيها إنشاء تلك العلاقة في نفس كل قارئ للقرآن فإن أسماء الله الحسنى ليست للفهم المجرد ولا للثقافة المجمدة ولا للحفظ الآلي... إن أسماء الله الحسنى يعرضها الله رب العالمين إذ يعرض سيرة رسوله ﷺ مرتبطة بأسماء الله الحسنى؛ منطلقة من تجليات أسماء الله الحسنى، مؤيَّدة بأسماء الله الحسنى، صانعة للحياة بأسماء الله

الحسنى، مصحِّحة مواقف السيرة بأسماء الله الحسنى، مطهِّرة للقلوب، ومزكِّية للنفوس بأسماء الله الحسنى، باعثة للدعوة في قلوبهم جميعًا ومصحوبة بالتوكل على الله والثقة بالله واليقين بفتح القلوب والبلاد بأسماء الله الحسنى، فهل يستطيع أحدٌ أن يحدد سعة الفارق ما بين السِّيرَة بكلام البشر والسِّيرَة بكلام الله ﷻ..... والنبي ﷺ يقول: «**يَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ**»(١).

ولك أن تتأمَّل في كلام الله -سبحانه- وهو يعرض صفحة من صفحات غزوة أحد: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةٓ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠-١٢٩].

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٢٦) وقال: حسن غريب، وللحديث شواهد من حديث عمر بن الخطاب وحذيفة وجابر وغيرهم والحديث حسن بجملة هذه الشواهد. انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن ص (٤٢).

وهنا يأتي السؤال: وماذا عن سورة البقرة... وكيف تصنع سورة البقرة خاصة حب قلبي رسول الله ﷺ وكيف جعلت وجهه الكريم ﷺ هو باعث عظيم من بواعث حفظها، فيقول القائل: لأجل وجهه الشريف أحفظها؟

الله أكبر....الله أكبر....الله أكبر....عجبًا لنا؛ قد رأينا كيف ينشأ حب الله ﷻ وحب كلامه العظيم من خلال كل شيء؛ حتى المشي إلى المسجد والخطوات وما إلى ذلك ثم نأتي بعد هذا نتساءل وربما نستغرب عن علاقة حب رسول الله ﷺ وسورة البقرة...إذًا فمن أين أخذنا القرآن الكريم كله... من أين أخذنا كلام الله...هل أخذناه من الفضاء، أم من الورق، أم من الألواح؟!

والله ما عرفنا القرآن ولا أخذنا أي آيةٍ من آياته إلا بعدما استقرت في الموضع الذي اختاره الله لكلامه في الدنيا كلها وهو قلب رسول الله ﷺ، فهناك نزل القرآن الكريم... وهناك صنع صنعه، ومن هناك خرج إلينا.

فهل يستطيع أحد أن يَفْصل حب رسول الله ﷺ عن حب الله ﷻ وحب كلامه الكريم، وهل يستطيع أحد أن يفصل حب قلب رسول الله ﷺ عن حب كلام الله ﷻ، فكل كلمة من كلمات الله الكريم في كتابه الكريم استقرت في ذلك القلب الطاهر النقي المنَقَّى... وكل حرف وكل آية وكل سورة، وهناك استقرت سورة البقرة ومن هناك خرجت للخلق.... هناك كانت أولًا سورة البقرة التي مثَّلت من القرآن جزئين وثلثًا تقريبًا، ومثلت من كلماته الكريمة ٦١٤٤ ومن حروفه الشريفة ٢٥٦١٣ ومثلت من صفحاته تسعًا وأربعين صفحة شريفة، وليس الأمر عدًّا ونسبًا حسابية.

الحب العظيم لا يُحَدَّدُ ولا يُعَدَّدُ ولا يوزن ولا يُكال...لكن الله ﷻ عَلَّمَنا في

سورة البقرة الكثير الكثير مما لا وجود لمثله في السور الأخرى الكريمة وكلها سور كريمة...

فالله عَلَّمَنا نحن وعَلَّمَ الخلق أجمعين أن الكلام كلامه -سبحانه- إلّا إنهم أخذوه من قلب رسول الله ﷺ، فقال -سبحانه-: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧] فهل يخبرنا الله بهذا إلا لأن نجعل قلبه ﷺ أحب إلينا من قلوبنا.... وعاطفتنا نحوه مُقَدَّمَةً على عاطفتنا نحن على كل من سكن قلوبنا.... لأن القلب سَكَنُ الأحبة.....كيف لا ومن ذاك القلب الطاهر الكريم استقت قلوبنا كلام رب العالمين؟!

كيف لا نحب وجهه الكريم ﷺ أكثر من وجوهنا أنفسنا، ومن كل وجهٍ حُبِّبَ إلينا، ومن جميع الوجوه مجتمعة، وذلك ما ذكره الله ﷻ عنه ﷺ في سورة البقرة إذ سجَّل الله ﷻ أن وجه رسول الله ﷺ رَحَلَ لأجلنا إلى أبعد نقطة عن الأرض فقال -سبحانه-: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤] لقد تَقَلَّبَ وجهه الكريم ﷺ لشدة خوفه ﷺ وإشفاقهِ وحرارة دعائه، فَطَيَّبَ الله ﷻ قلبه، وأكرم -سبحانه- وجهه الذي ألقاه لأجلنا على الأرض بين يدى الله لأجل وجوهنا نحن أن تتجه إلى أكرم قبلةٍ وَوِجْهةٍ وهي البيت العتيق.... وقد كان ما أراد.

ألم يكن الله -سبحانه- قادرًا على أن يُغَيِّرَ القبلة دون أن يُسجِّل هذهِ المعاناة لرسول الله ﷺ والله على كل شيء قدير؟!

لكنه -سبحانه- ينسب الفضل لصاحبه، ويُفصِّل حالته ﷺ تفصيلًا وهو -سبحانه- يحب الشكر منا لمن أحسن إلينا، فكيف يكون شكر وحب من كان السبب في قبلتنا هذه... إذًا هو ﷺ المتفضل علينا في كل مرة وقفنا فيها بين يدي ربنا، وهو المتفضِّل علينا بتحوُّل الإمامة لنا إذ بتحول القبلة لنا تحولت الإمامة من بني إسرائيل إلينا... وهل بعد نعمة الصلاة والنسك والإمامة من نعمة؟! فما جزاء ذاك الوجه الكريم وذلك القلب العظيم... وكيف نشكره ﷺ وكيف نحبه، ومن ذا يجازي في قلوبنا حبه ﷺ؟!

هذا بعض ما ينشئه ربنا ﷻ من حبٍ لازم وملازم نحو رسوله ﷺ.

يا أمة محمد ﷺ:- هل تحبين رسول الله ﷺ كما أحبك؟!....هل شكرتيه كما آثرك بكل شيءٍ له؟!

هذهِ هي خاتمة سورة البقرة تنطق بهذا فهل نسمع رسالتها وحديثها...؟!

ألم يخبر ذاك الْمَلَكُ النبي ﷺ بعطاء الله له حين أنزل عليه خواتيم البقرة...؟! وهذا الملك لم ينزل إلى الأرض قط إلا ليخبر النبي ﷺ بعطاء لم ينزل عليه ولا على من قبْله من المرسلين قط، فقال ابن عباس قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا[1] مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ:«**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ:**

(١) نقيضا: أي صوتا كصوت الباب إذا فُتِح.

فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»[١] أليست هاتان الآيتان دعاءً مجابًا من الله ﷻ لكل من دعا بهما أو قصدهما في حاجته كما في الحديث «**لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**» فهل بلغكم أن رسول الله ﷺ حين أنزل عليه هذا الدعاء المجاب طلب به يومًا من الأيام....؟

والجواب قطعًا: لا بدليل: أن آخر هذهِ الدعوات وختامها هو قوله -سبحانه-: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ فهل تحقق هذا الدعاء وانتصرنا على كل الكافرين في الأرض، وزال الكفر كحكمٍ وغَلَبَةٍ ونظام من الأرض؟ والجواب: لا، والسؤال: فهل سيتحقق هذا بشكل مطلق؟ والجواب: نعم، والدليل قوله ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»[٢]، والآن نقول: لِمَ لَمْ يستخدمه النبي ﷺ في حياته؟

والجواب: ألم يُسمها الله ﷻ بالكنز وأنزله كنزًا ولهذا ادَّخر الرسول ﷺ هذا الدعاء كما أنزله الله ﷻ كنزًا كما أنزله ربه -سبحانه-، وهذا هو الأليق بالكنز، وإلا لم يكن بالنسبة لعصره كنزًا لو أنه صرف من لحظته، وفُكَّ من أوله، وهكذا نزل كنزًا وبقي كنزًا... فكأنه الوصية من الله لرسوله ﷺ أن ادَّخِرْ هذا فإنه كنز لأمتك، ثم هذهِ هي حكمته ﷺ وهذهِ رحمته، أما كونها حكمته فسورة البقرة لا شك مدنية والإسلام في حصنٍ حصين وعزٍ وعلو متصاعد ورسوله ﷺ يعلم أن

---

(١) رواه مسلم (٨٠٦).

(٢) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

هذا العز سوف يدوم، كما علمنا يقينًا أن الإسلام سوف تغيب شمسه وأن القرآن سوف يذهب نظامه وحكمه، وأن المسلمين سوف يتناحرون، ويتمزقون، ويضعفون حتى لا يملكون حماية قصعة طعامهم التي بين أيديهم... وأن هذا الأمر سوف يستمر، فكان هذا الكنز لهذا اليوم.... حيث الأمة أسفل سافلين، وقد تُوُدِّعَ منها، من هنا سوف يكون النصر المطلق على الكافرين أجمعين والأحاديث واضحة جدًا.

أما كونه رحمته ﷺ فَلْنُجِبْ على هذا السؤال: في أي الاثنين يُفَكِّر الأب أكثر؛ في أبنائه الذين بين يديه يراهم وهم بخير يصحبونه ويصبحونه ويمسون معه في البيت.... أم في ولده الذي يعيش في الغربة.... فكيف وقد أعلم الله رسوله ﷺ بكل شيء وكل المخاطر التي سوف تصيب أمته؟!

لا شك أن الجواب هو أبناؤه البعيدون عن عينه، فكيف وهم بعيدون جدًا عن زمانه، وهم في عين المخاطر وأتونها؟!

وهذا الهمُّ كان يأخذ من النبي ﷺ مأخذًا في ضراعته لأمته في لياليه... وهو الهم الذي ظهر عليه ﷺ وأفصح عنه في آخر حياته حين زار البقيع فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي**»، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي**»(١).

وفي رواية عن أبي ثَعْلَبَة: أَنه سَأَلَ النَّبِي ﷺ عَن تَفْسِير قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، فَقَالَ: «يَا أَبَا ثَعْلَبَة مُرْ بِالْـمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ

(١) رواه أحمد (١٢٥٧٩)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

الْـمُنْكَرِ فَإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهوىً مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ ودَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ؛ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لِلْمُتَمِسِّكِ فِيهَا بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قِيلَ: بَلْ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**لَا بَلْ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا**»(١).

ولكل واحدٍ أن ينظر ولسوف يجد أن المسلمين الآن في آخر هذه المرحلة بل ذيلها...ذلك أن المسلم الآن ليس لا يجد على الخير أعوانًا فحسب ولكنه يتمنى أن يتركه الشر وما هو بتاركه ولو كان في عُقر داره، ويتجنبه بكل طريق وطريقة وعساه أن يفوته (من حديث أبي ثعلبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ. قَالَ: «**بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ**»(٢))!

فأي إيثارٍ من رسول الله ﷺ لأمته على نفسه، بل أي إيثار منه ﷺ لنا نحن أبناء هذا الوقت.... وكيف نجيبه شكرًا، ومن ذا يستطيع؟! ﷺ.

لكن الله -سبحانه- يُعَلِّمُنا في نفس هذهِ الآيات الأدب والرجاء معه ﷺ والأدب مع الله إذا أردنا أن يجيب الله دعاءنا.....

حيث جاءت كل آيات ختام سورة البقرة كأنها الثناء على الله ﷻ قبل هذا الدعاء الخاتم.... ولما طال ذاك الثناء لم يكن للدعاء إلا الجواب ولهذا ورد في

(١) قال العراقي: أخرجه أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَحسنه ابْن مَاجَه.

(٢) رواه الترمذي (٣٠٥٨)، وقال: حسن صحيح، وقال الألباني في الصحيحة (٩٥٧): الحديث بشواهده صحيح ثابت.

آخرها قول الله ﷻ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ، لَمْ يَدْخُلْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»، فَأَلْقَى اللهُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآيَةَ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآيَةَ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ[1]. ثم إن الدعاء ما كان لفردٍ ولكن الفرد يدعو به لأمة محمد ﷺ وهذا واضح، والزلفى في هذا الدعاء المجاب هو تقديم ذكر صاحب الكنز على كل أحد في هذهِ الآية، وهل يُردُّ من قدَّم رسول الله ﷺ على نفسه، وهل يُردُّ من قدم رسول الله ﷺ بين يدي ربه، ولذا جاء هنا تقديم إيمان رسول الله ﷺ على إيمان أمته، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فهو الإيمان القادر على حمل إيماننا بما فيه من أثقال وعرج وآصار وآثام، فإذا رفع إيمانه ﷺ وهو مرفوع بلا شك فإنه سوف يرفع الأمة ويرفع إيمانها ويفتح لها أوسع الأبواب وتُقبل وإن كانت في حال أسفل سافلين كما هو شأنها اليوم الذي ما بلغت يومًا مثله مطلقًا.

فهل رأينا عن أي حبٍ أفصحت لنا سورة البقرة من رسول الله ﷺ لنا.

(١) رواه الترمذي (٢٩٩٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه الألباني.

وهل عَلِمْنا أيُّ منةٍ لرسوله ﷺ في أعناقنا في هذهِ السورة المباركة... فكيف لا نحفظها علَّها تبعث فينا حبًا جديدًا لم يُدْرَكْ، وبابًا فريدًا لم يُطْرَقْ، ويكون هذا هو مقدمة إجابة الله الدعاء الوارد فيها كله جميعا... وإنه لكذلك بإذن الله.

الفصل الثاني

تَجَاوَزْ كُلَّ عَقَبَةٍ

* **تجاوز العقبة الأولى:** وساوس الشيطان.
* **تجاوز العقبة الثانية:** وردك أم حفظ سورة البقرة؟
* **تجاوز العقبة الثالثة:** ختمات القرآن أم حفظ البقرة؟
* **تجاوز العقبة الرابعة:** أخاف أن أحفظ سورة البقرة ثم أنساها، فأدخل في العقاب!
* **تجاوز العقبة الخامسة:** كِبر السِّنّ.

الفصل الثاني

مقدمة تجاوز كل عقبة

احذرْ من اصطناعِ العوائقِ، التي تحولُ دونَ حفظِك سورةَ البقرةِ، عن ظهرِ قلبٍ... فما تجعلُه عائقًا أمامَ عينيك وتعظِّمه وتهوِّله، سوفَ يتجاوزُه غيرُك، وسيبتدئُ ويواصلُ ويُرِي اللهَ من نفسهِ الجدَّ والاجتهادَ، والحبَّ والاشتياقَ لبلوغِ المأمولِ، فهذا هو مَنْ يُسَهِّلُ اللهُ له أمرَه، ويُسْقِطُ كلَّ العوائقِ من طريقهِ.. ويُحِبّه اللهُ، فإذا أحبَّهُ حَبَّبَ له كلامَه الكريمَ، فيُسْكِنُ كلامَه الكريمَ صدرَ حبيبهِ ويجمعهُ في قلبه... وهل من مَسْكنٍ للحبيبِ إلا القلبُ؟

وهلْ مِن شيءٍ هو من عندِ ربِّنا كما هو لم يتغيرْ في هذه الدنيا إلا كلامُه الكريمُ...؟ وهل مشروعُنا إلا هذا...؟

وإلا ما معنَى قولهِ سبحانه لرسولهِ ﷺ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧]، فهل كان ﴿جَمْعَهُۥ﴾ المقصود في هذه الآية إلا جمعه في قلبك يا محمد ﷺ، وهل كان معنى قرآنه في الأَساس إلا قراءتك للمجموع في قلبك بلسانكَ فهو محفوظٌ بقلبكَ، مقروء على لسانك، واللهُ سبحانه متكفلٌ بالاثنينِ، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ.

تجاوز كل عقبة: ربما قال -من قرأ ما مرّ معنا من فضائلِ حفظِ سورةِ البقرةِ وخصائصها-: أيعقلُ أن يتخلَّفَ عن حفظِها أحدٌ من الناسِ بعدَ كلِّ هذا؟ أو يتردَّد في قبولِ هذا المشروعِ؟

فإنِّي أعودُ وأقولُ: إنَّ مَنْ يقولُ هذا لا يعرفُ الشيطانَ، ولا يعرفُ ما الذي يفعلُه الشيطانُ ـ نعوذُ باللهِ منه ـ مِن جهدٍ جهيدٍ، ومكرٍ وخبثٍ وحيلٍ، وعوائق وعلائق... لِيَحُولَ بينكَ وبين حفظِها.. لأنه هو الخاسرُ الأَخسرُ بحفظِكَ سورةَ البقرةِ... ولهذا يقعدُ للعبدِ في كلِّ طريقٍ يؤدي إلى الحفظِ... لكن نقولُ كما قال رسول الله ﷺ: «**الحمدُ لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة**»(١).

وقد قال ربنا سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦]... وهنا يلجأُ الشيطانُ ـ نعوذُ بالله منه ـ إلى إلقاءِ كلماتٍ على لسانِ هذا أو ذاك، يحطُّ بها من هِمَّتِكَ، ويحبطُ بها مِن عزيمتك، ويصغرُك أمامَ هذا المشروعِ العظيمِ، فتفوتَ عليك الفرصةُ، فتقعدَ بقيةَ عمرِك ملومًا محسورًا، مِنْ تَرْك حفظِ سورةِ البقرةِ، ويحقّ عليك وعدُ النبي ﷺ: «**وتركها حسرة**».

أما إبليسُ فاستعذْ باللهِ منه وكَفَى، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وتقدَّمْ من فورِك ولا تبالِ.

وتبقى المشكلةُ الأكبرُ فيما يلقيه إبليسُ من توجيهات وأقوالٍ على ألسنةِ الآخرينَ من الناسِ، يحطِّمون بها مشروعَ عمرِك... حيث لا تستطيعُ أن تُمْسِكَ ألسنتهم...

فإياكَ ثم إياكَ أن تُصْغِيَ لِمَنْ ينصحُكَ بتركِ حفظِ سورةِ البقرةِ، ولو كان اسمهُ (شيخ)، فضلًا عن غيرِهِ من الناسِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١١٢)، وأحمد (٢٠٩٧) عن ابن عباس، وصححه الألباني.

تجاوز العقبة الأولى:
وساوس الشيطانِ

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

قال ربنا سبحانه: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

هذا هو عَدُوُّكَ فاعرفْه واحذرْه، واعلمْ أنه لا معيذَ منه إلا اللهُ ربُّ العالمين.. لذلك استعذْ بالله استعاذةَ مَنْ عَلِمَ أنه لا نجاةَ من الشيطانِ الرجيم إلا باللهِ السميعِ العليمِ.. فإذَا أعاذكَ اللهُ فقد سلمتَ، وبلغتَ، وفزتَ فوزًا عظيمًا.

فيا عبادَ اللهِ: هل علَّمنا اللهُ الاستعاذةَ إلا ليعيذَنا...؟

وهل شَرَعَ اللهُ لنا الاستعاذةَ إلا لأنّها الوقايةُ لنا من كيدِ الشيطانِ؟ ومن شِرْكه وشَرَكه؟

ولقد خصَّ اللهُ -سبحانه- في هذهِ الآية الكريمة الاستعاذةَ بالله عندَ قراءةِ القرآنِ، فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

﴿قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: سواءً كانت قراءتُك من مصحفٍ أو من حفظٍ، في صلاةٍ أم في غيرِ صلاةٍ.

ولمَّا كانت القراءةُ من أجْلِ الحفظِ أشدّ، كانت الحاجةُ للاستعاذةِ أشد، ولما كان حفظُ شيءٍ من القرآنِ أبغضَ شيءٍ عندَ الشيطانِ، كانت الاستعاذةُ باللهِ عندَ الحفظِ أشدّ ما تكونُ على الشيطانِ الرجيم، وأشدّ ما نكونُ نحن حاجةً لها...

ولما كانت سورةُ البقرةِ أشدّ ما تكونُ على الشيطانِ، كان الشيطانُ أشدّ ما يكونُ خبثًا ودهاءً وعداوةً، ليحولَ بين الإنسانِ وبين قراءتِها...

فكيفَ سيصنعُ الشيطانُ ليحولَ بين الإنسانِ وبين حفظِها؟!

إنَّ الشيطانَ يقعدُ للإنسانِ بكل طريقٍ خيرٍ إذا أرادَ أن يسلكَه... وقد أخبرنا بهذا رسولُ اللهِ ﷺ، فقال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ، وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ، فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**»(١).

ولَمَّا كانَ مصدرُ كلِّ طرقِ الخيرِ هو القرآنَ، كان قعودُ الشيطانِ على هذا الطريقِ ليسَ مثله قعود.

ولما كانت سورةُ البقرةِ هي أعظمُ سورِ القرآنِ الكريمِ على الشيطان الرجيم شدةً وتدميرًا، وأنك إن حفظتها فإن خسائره لا تُعَدُّ ولا تُحصى، فإنه سوفَ يكيدُ كلَّ كيدٍ ليحولَ بينك وبينَ حفظِها...

حتى إنَّ حِرصَ الشيطانِ على الصدِّ عن سورةِ البقرةِ ليبلغُ به أن يصرفَ العازمَ على حِفْظِهَا إلى حِفْظِ غَيْرِها مِنَ القرآنِ بأي طريق، ولو كان بالتغنِّي

(١) رواه النسائي (٣١٣٤)، وأحمد (١٥٩٥٨) عن سبرة بن أبي فاكه، وصححه الألباني.

بالقرآنِ حتى لا يعودَ إلى فكرةِ حفظِ سورةِ البقرةِ خاصة.

وقد بَيَّنَ هذا مَنْ كَشَفَ اللهُ سبحانه ذلكَ لَهُ، وهو رسولُ الله ﷺ، فجاء يخبرنا محذِّرًا مصوِّرًا الأمر تصويرًا... خصوصًا في هذا الزمان الذي ثَقُلَتْ سورةُ البقرةِ على الناسِ كثيرًا.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، يَتَغَنَّى وَيَدَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ يَقْرَؤُهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقَرَةُ، وَإِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ الْجَوْفُ الصِّفْرُ مِنْ كِتَابِ اللهِ عز وجل**»[(١)].

فإن قلتَ فأين الإشارُة لحفظِ سورةِ البقرةِ؟

والجواب: في قوله ﷺ: «**وإن أصفرَ البيوتِ الجوفُ الصِّفْرُ من كتابِ الله**» فكأن الجوف بيت فإذا ما دخلت البقرةُ في جوف حافظِها فَحَفِظَها فقد دخلتْ في البيتِ كلّه.. ويأخذُ البيتُ من هذه الناحيةِ حكمَ جوفِ الحافظِ.. فأيّ فضلٍ هذا؟! وإذا ما خَلَا جوف ابن آدم من القرآن أصبحَ صِفْرًا، وأصبحَ ذاك البيتَ أصفرَ البيوتِ، ولا يكونُ الجوفُ صِفرًا إلا بخلوِّهِ منَ القرآنِ الكريمِ، لذا قال: «الصفرُ من كتابِ الله»، وهذا جاء تعقيبًا على الصورةِ الأولى التي ذكرها رسول الله ﷺ في أول الحديثِ حيثُ قال: «**لا ألفينَّ أحدَكم يضعُ إحدى رجليه على الأخرى، يتغنّى ويدعُ سورةَ البقرةِ يقرؤها**»، وقد علمنا أن أعلى درجاتِ قراءتها هو قراءتُها من حفظه، أي (من جوفه) كما في الحديث، وما من شيء في هذهِ

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٧٣٣)، ورواه الدرامي موقوفًا على ابن مسعود (٣٥٣٧)، وحسنه الأرنؤوط في شرح السنة للبغوي.

السورة المباركة إلا وفيه انتصارٌ وأيّ انتصار على الشيطانِ... فكيفَ إذا حفظَها... وجَعَلَها في صدرِه.. جزءًا من كيانه...؟!

تجاوز العقبة الثانية:
وِرْدُك أَمْ حفظُ سورةِ البقرةِ؟!

يقولونَ لك: إيّاكَ أن تقطعَ وِرْدَك بهذا المشروعِ أو بسواه...!

يا صاحبَ الوِرْدِ المباركِ؛ مَنْ قال لك إن أخذَك مشروعَ حفظِ سورةِ البقرةِ سوفَ يقطعك عن وردِك القرآنيّ أو غيره من الأذكار المشروعة...؟!

اجْعل لوردِك وقتَه ولهذا المشروعِ وقتَه، فإنْ ضاقَتْ عليك الأوقاتُ، فخذْ لسورةِ البقرةِ من الأوقاتِ الضائعةِ من يومِك فيما لا نفعَ فيه.. فإن لمْ تستطعِ التوفيقَ بينَ ذلك، فليذهب الوردُ الذي اخترتَه لنفسك أيًّا كان، ولتحلّ بدلًا عنه سورةُ البقرةِ... فلا وردَ مثلُ القرآن.. ولا وردَ في القرآنِ مثلُ مشروعِ حفظِ سورةِ البقرةِ، فقد مَرَّ معنا حديثُ عبد اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، يَتَغَنَّى وَيَدَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ يَقْرَؤُهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقَرَةُ، وَإِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ الْجَوْفُ الصِّفْرُ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ**»[(١)].

فالرسولُ ﷺ لا يجيزُ للإنسانِ أن يَدَعَ الأَخْذَ بسورةِ البقرة اكتفاءً بأنه يتغنَّى بقراءتِهِ للقرآنَ من أيّ موضعٍ آخرَ، فإنَّ الأصلَ في التغنِّي عندَ رسولِ الله ﷺ هو

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٧٣٣)، ورواه الدرامي موقوفًا على ابن مسعود (٣٥٣٧)، وحسنه الأرنؤوط في شرح السنة للبغوي.

التغنِّي بالقرآنِ، ولهذا أمر ﷺ فقال: «**ليسَ مِنَّا من لمْ يتغنَّ بالقرآنِ**»[١].

لكن الأمر بالتغني بالقرآن لا يعنى عدمَ الأخذِ بسورةِ البقرةِ وحفظِها.

فإذا نظرنا ثانيةً وجدنا أن الرسول ﷺ قال عن سورة البقرة: (**يقرؤُها**) ولم يقل يحفظُها....

وقد مرّ معنا أنّ القارئ للقرآن هو الذي يقرؤه من الحفظ، وأَنَّ ذلك هو الأصلُ فيها عندَ العربِ، وهمْ مَنْ أُنزلَ عليهم القرآنُ، بلْ إنّ أعلى درجاتِ القراءةِ عندَ اللهِ تعالى هي الحفظ، وإنّ أعلى درجاتِ الناسِ هم القُرَّاءُ، والقُرَّاءُ هم الحفظةُ، وأعلى كلِّ القراءِ على الإطلاقِ هو رسولُ اللهِ ﷺ، وهوَ لا يعرفُ القراءةَ من كتابٍ مكتوبٍ، إنَّما اختارَ اللهُ سبحانه له أن يكونَ حافظًا للقرآنِ..

ثمّ إنّ قولَه: (**يقرؤُها**) في حديثِ ابن مسعودِ رضي الله عنه السابقِ أي يحافظ على قراءتها ومستمر في قراءتها وهذا هو الورد... فالرسولُ ﷺ اختارَ وِرْدَ سورةِ البقرةِ على التغنيّ بالقرآنِ، فكيفَ بالأورادِ الأُخرى التي هي أذكارٌ كريمةٌ جمعها واحد أو جُمِعتْ لَه...

نحنُ لا نريُد أن نقلّلَ من أهمية الأورادِ، لكنَّ الحقيقةَ أنَّ كلَّ شيءٍ بجوارِ القرآنِ الكريمِ يكونُ قليلًا بغيرِ شكٍّ.. وكلّ كلامٍ بجوارِ كلامِ اللهِ يكونُ قليلًا.. فلا مقارنَة أبدًا.

أليسَ هو الكلامُ الذي اختارَه اللهُ لتقرأَه وأنتَ قائمٌ في صلاتك بينَ يديه ﷻ...؟!

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧١)، وصححه الألباني.

ثُمَّ أين تجدُ كلامًا تقرؤه ولك على كل حرفٍ حسنة، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلى ما شاءَ اللهُ..؟!

وأيّ كلام هذا الذي تحدَّى به اللهُ الخلائقَ إلّا هذا القرآنُ العظيمُ، فقال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

نَعَمْ.. قد أوتي الرسولُ ﷺ جوامعَ الكلمِ، لكن هذا القرآنَ هو كلامُ اللهِ... وأينَ جوامعُ الكلمِ من كلامِ اللهِ، واللهُ سبحانه يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

أنا لا أدري بأيِّ ميزانٍ يزنُ مَنْ يتركُ مشروعَ حفظِ سورةِ البقرةِ لأجلِ أورادٍ كريمةٍ أيًّا كانتْ هذهِ الأوراد!!

ارجعْ إلى كل ما ذكرنا عن سورة البقرة ثم انظر بعدها... ولك القرار.

والنبي ﷺ يقول: قال الله سبحانه: «**مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**»(١).

وهلْ غايةُ كلّ الأورادِ إلّا التعرض لعطايا الرحمن ﷻ...!؟

ألمْ يعرضْ ربُّ العالمينَ عليكَ هنا عرضًا لا نظيرَ له.. وهو أنكَ إنْ شُغلتَ عن سؤالِ اللهِ سبحانه لأجلِ ذكرهِ -وأعلى الذكر هو كلامه الكريم- أنه يتكفّلُ

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (٢٩٢٦)، من حديث أبي سعيد الخدري، وحسنه بشواهده الشيخ أبو إسحاق الحويني في تحقيقه لفضائل القرآن لابن كثير صفحة (٢٧٤).

لك بأن يعطيَكَ أفضَلَ من سُؤلك وسؤالِ السائلينَ... وأعظمُ كلامهِ بعدَ سورةِ الفاتحةِ، هو سورة البقرة فهيَ سنامُ القرآنِ.

هُنا تتوقَّفُ كلُ الأورادِ إذا حالتْ بينك وبين القرآنِ الكريمِ.

ففي رمضانَ المباركِ يتفرغُ رسولُ اللهِ ﷺ للقرآنِ وكان جبريلُ يدارسُهُ القرآنَ... وكانَ القيامُ بالقرآنِ.. وكانتْ ختماتُ القرآنِ.. وكانَ عكوفُ الظهورِ والقلوب على ختمِ القرآنِ.. وكانت الدروسُ تتوقفُ لأجلِ القرآنِ.. واللهُ ﷻ يعرِّف رمضانَ وهو خيرُ الشهورِ على الإطلاقِ بالقرآن، فيقولُ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويُعرِّف سبحانه ليلةَ القدرِ وهيَ خيرُ الليالي على الإطلاقِ بالقرآنِ فيقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١-٥].

فإذا جاءَ القرآنُ توقَّفَ غيرُه تعظيمًا له... وتُركَ له الميدان... فما من مماثلٍ ولا منافسٍ، لا أذكار ولا أوراد ولا غيرها... أليس هو كلامُ الله ﷻ؟

إن الأصلَ في هذا التضادِّ المصطنع بين حفظ القرآن الكريم وبين الانشغال بغيره، أو بين حفظ سورة البقرة وبين الانشغال بغيرها أن يقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]... فماذَا إذا تركتُم القرآنَ وحِفظَ سورةِ البقرةِ لأجل الأذكارِ والأشياءِ والأشغالِ... هلْ ﴿تُرْحَمُونَ﴾؟!

إنَّ تقديمَ الأورادِ على القرآنِ الكريمِ يكشفُ حقيقةً مُرَّةً، مُوجِعةً، مفجعةً...!

تلكَ هيَ تأخيرُ القرآنِ الكريمِ في حياةِ هذهِ الأمةِ كلِّها في هذا الزمانِ.. حتى وإن دَنْدَنُوا بأن القرآنَ هو المصدرُ الأوّلُ للتشريعِ!

ولو صَدَقُوا لقالوا: كانَ القرآن هو المصدر الأوحدَ في التشريع!

فالقرآنُ لا يُقبلُ عندَ أحدٍ اليومَ في الاستدلالِ ما لمْ يكنْ له شاهدٌ من السنة!

بينما السنةُ تُقبلُ دونَ الحاجةِ لشهادةِ القرآن!

والقرآنُ لا يقدَّمُ في القضاءِ ولا في الإفتاءِ ولا في الحياةِ، اللهمّ إلّا في الرقيةِ والتبرُّكِ والختماتِ!

فماذا تنتظرُ أمةٌ صنعتْ هذا بكلامِ ربِّها...!؟ إن هذا يُفْصِحُ عن قَدْرِ ربِّ العالمين عندَ الأمةِ اليومَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولمَّا كان الأمرُ كذلك، وكان هذا قدرُ القرآنِ عندَ من أُنزلَ عليهم القرآنُ، لم يكنْ غريبًا أبدًا أن تَنْحَطَّ منزلةُ الأمةِ من عليائها إلى هذا السفولِ الذي تعيشُه في كلِّ شيءٍ... ومتى أعادت أمتُنا القرآنَ إلى مقامهِ عادتْ إلى عَليائِها الأولى وزيادة، وصَدَقَ اللهُ سبحانه إذ قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤].

لكن الذي يَحُزُّ في النفسِ ويُحْزِنُهَا أكثرَ وأكثرَ هو تأخيرُ أهلِ القرآن والعلمِ مقامَ القرآنِ، فأصبحنا اليومَ نتساءلُ: هلْ نقدِّمُ الأورادَ أم القرآنَ؟!

هل نحفظُ سورةَ البقرةِ، أم نحافظُ على الأورادِ؟!

أيّ شيء تقولون؟!

هذا كلامُ اللهِ... فهلْ تعرفنا على الله ﷻ... يومَ أن نعرفَ كلام الله حقًا فسوفَ نعرفُ الله ﷻ، لكنْ أَنَّى لِمَنْ لمْ يُعطِ كلامَ اللهِ حقَّه أن يعرفَ اللهَ؟

يقول النبي ﷺ: «يقول الرب ﷻ: مَنْ شَغَلَهُ القُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»(١).

(١) رواه الترمذي (٢٩٢٦)، وقال: حسن غريب، وللحديث شواهد وهو حسن بجملة هذه الشواهد. فضائل السور ص (٤٢).

تجاوز العقبة الثالثة:

ختمات القرآنِ.. أمْ حفظُ البقرةِ

يقولونَ لكَ: وِرْدُك من خَتَمَاتِ القرآنِ أَوْلَى مِن حفظِكَ سورةَ البقرةِ وحدها!

أقولُ لك: ثَمَّةَ حلول قبل الحلِّ الأخيرِ، **فأولُ الحلول**.. أنِ اجمعْ بينَ الاثنين، فاتْرُكِ الختماتِ على ما هي عليه، وأضف لبرنامجِك اليوميّ حفظَ سورةِ البقرة.

وثاني الحلولِ.. أنِ اتركِ الختماتِ مستمرةً على ما هي عليه، وخذْ وقتَ حفظِ سورةِ البقرةِ من أوقاتٍ أخرى، وستجدُ فراغاتٍ هنا وهناكَ شُغِلَتْ بلا شغلٍ، أو شُغْلها ممَّا لا نفعَ فيه ولا ثمرةَ.

وثالثُ الحلولِ.. أن قَلِّلْ أعدادَ الختمات، وخذ من وقتها لحفظ سورة البقرة.

وأما رابعُها.. وذلك إذا لمْ يمكنْ إلّا أن تختَار واحدًا من اثنينِ، إما الختماتُ وإما حفظُ سورةِ البقرةِ، فإنّه ما مِنْ أحدٍ يَشُكُّ أبدًا أنّ مقامَ الحفظِ هو أعلى من مقامِ مجردِ التلاوة ـ وفي كلِ خير ـ ولا يرتَقِي إلى مقامِ الحفظِ إلّا من يصطفيهم اللهُ ﷻ اصطفاءً بعد اصطفاءٍ...

وما مِنْ تالٍ للقرآنِ غيرِ حافظٍ إلّا وهو يتطلعُ للحافظِ عَلَى أنهُ الأعلى، وهذا مما أثبته اللهُ ﷻ في نفوسِ المسلمين، ولذا فإنَّ كلَّ تالٍ للقرآنِ يَغْبِطُ مَنْ حَفِظَ، ويقولُ في نفسهِ: يا ليتَ ربّي آتاني مثلَ ما آتاهُ، وحينَ لا يجدُ القدرةَ في نفسِه على

حفظِ القرآنِ الكريمِ، فإنه يأملُ من ربِّه سبحانه أن يجعلَ ذلك في ولدِه...

فهو لا يتمنَّى لولدِه أن يكونَ مثلَه غيرَ حافظٍ، بل يتمنَّى أن يكونَ حافظًا للقرآنِ الكريم، ولذا قال النبي ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**»(١) فما أجملَه من مقامٍ (آتاهُ اللهُ **الْقُرْآنَ**).

ثمّ من ذا الذي يتلو من مصحفٍ فيُقارنُ بالحافظِ للقرآنِ... فذاكَ قرآنُه في مصحفٍ.. بينما الحافظُ قد حَوَّلَ قرآنَه من مسموعِهِ ومنظورِه إلى صدرِه، وجعلَ كلامَ اللهِ ﷻ جزءًا من كيانِه، فليسَ هو أسيرَ النظرِ، ولا مفتقرًا في قراءته لمصحفٍ كريمٍ، فهو يَقرأ من كيانِه.. من داخلِهِ ومن حافظتِه... من موضع الفؤاد الذي جعلَ اللهُ ـ سبحانه ـ فيه كلامه الكريم... هذا الموضع سوف ينتقل معه إلى الدار الآخرة، وإن لم يوضعْ معه في قبرِه مصحفٌ كريمٌ... فهذا الرجلُ هو من يشفعُ له قرآنهُ، وهو مَن يقرأُ في الجنةِ ويصعدُ بكل آيةٍ درجةً، من غيرِ أن يُمسكَ بيدِه في الجنةِ مُصحفًا، وهو الذي يسمَّى بأهلِ اللهِ وخاصتِهِ، وهو المستحقُّ لاسمِ الآخذِ للقرآنِ، الماهرِ فيه الذي هُو مَعَ السفرةِ الكرامِ البررةِ.

ومن ذا الذي يُقَارَنُ بالحافظِ... **فإن كان الأمر بالأجر** وحسابِ الحسناتِ فلكَ أن تتأملَ وأنتَ في طريقِ حفظِكَ سورةَ البقرةِ؛ كم تُكَرِّرُ أنتَ الكلمةَ والآيةَ حتى يستقيمَ لسانُك وتصححَ قراءتكَ، ثمّ كمْ تكرِّرُ ما حفظتَ ابتداءً حتى تُثبتهُ وتتقنَه، وكمْ ستصحبُ القرآنَ ليلكَ ونهارَك حتى تحفظَ سورة البقرة، تَبدأُ بنصفِ صفحةٍ ثم تضيف إليها النصفَ الآخرَ من الصفحةِ، فتصير منشغلًا في

(١) رواه مسلم (٨١٥) عن عبد الله بن عمر.

ضَمِّ بعضِ الحفظِ إلى بعضٍ، وبعدَه يَجري هذا النظامُ بنفسِ الطريقةِ كلَّ يومٍ، مع كل نِصفٍ ومعَ كلِّ صفحة ومعَ محفوظاتِ الأُسبوعِ وهكذَا...

وهو في كلِّ يومٍ أو ليلةٍ يقومُ بينَ يدي ربه بما حفظ ﷻ في صلاتهِ... قد أخذَ نصيبَه من المصحفِ، ونقل منه ما نقل إلى جوفه، فقام واثقًا بينَ يدى الله – سبحانه– يُسْمِعه ما حِفظَ من القرآنِ، وهذهِ هي الحالةُ الأحبُّ عندَ اللهِ... الحالةُ التي لا يرقى إليها إلّا الحافظون لكتابِ اللهِ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ**»(١).

هكذَا تتفاوتُ درجاتُ الأنبياءِ عليهم السلام عندَ ربهم ﷻ بقراءتهم للقرآن بين يديه ﷻ في صلاتهم، وتحسين أصواتهم به.

وهذا وحْدَه كافٍ في بيانِ فضلِ المحفوظِ، والحافظِ الذي قام بحفظِه، يرتلُه ويتغنَّى به بين يديْ ربه ـ سبحانه ـ، فإذا افترقتْ درجاتُ الأنبياءِ عليهم السلام بحسنِ حفظِهم، وحسنِ صوتهم عليهم السلام لما أَنزلَ اللهُ عليهم من كلامِه... فما بالُك بدرجاتِ مَن دونَ الأنبياءِ عليهم السلام وكلُّ الناسِ دونَ الأنبياءِ ـ وإن درجة النور والعمارِ في جوفِ كل إنسانٍ، تعودُ إلى ما في قلبه من القرآنِ الكريم.. وقد قال النبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ مثلُ الأترُجَّةِ ريحُهَا طيِّبٌ وطعمُها طيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ مَثَلُ التَّمرةِ لا ريحَ لها وطعمُها حلوٌ، ومَثَلُ المنافقِ الذي يقرأ القرآنَ مثلُ الرَّيحانةِ ريحُها طيِّبٌ وطعمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المنافقِ الذي لا يقرأ القرآنَ كمثلِ الحنْظلَةِ ليس لها ريحٌ وطعمُها مُرٌّ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢) واللفظ له عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري(٥٤٢٧)، ومسلم (٧٩٧) عن أبي موسى الأشعري.

وهلْ من سبيل يكون به القرآن في جوفِك إلا بحفظِه، ولذا قال النبيُّ ﷺ: «**إن الذي ليسَ في جوفهِ شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الخَرِبِ**»(١).

إن عَمَارَ الجوفِ إنّما يكونُ بوضعِ القرآنِ فيه... أي بحفظِه، ثمّ هلْ أنتَ ستحفظُ سورةَ البقرةِ وتنامُ؟ أم أنك تحفظُها وتحافظُ على حفظِها؟ لأنّ حفظَها هو الكنزُ الذي رَزَقَكَ اللهُ إياهُ حديثًا... ورعايةُ هذا الكنزِ في حرزه يكون بدوام مراجعته وحفظه.

وهلْ حفظتهَا إلا لتؤديَ زكاتَها؟ لأنها رزقٌ.. وأيّ رزقٍ مثلُها... وهل زكاتُها إلّا بأن يحفظَها أبناؤك؟ وبنفسِ الطريقةِ التي نجحتَ فيها وأتقنتَها... وبهذا تحوزُ الخيرَ كلَّه؟ إذْ ترتقي أنتَ إلى حيازةِ الخيريةِ الثانيةِ وهي تحفيظُها؟ بعد ما حزتَ الخيرية الأولى وهي حفظُها، وذلك لقوله ﷺ: «**خيرُكم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمه**»(٢).

ولو اكتفى الإنسانُ بحفظِ سورةِ البقرة فَنِعْمَ ما اكتفى به...

ولو اكتفى بصحبتها فنعمَ الصاحبُ اختار للدنيا والآخرةِ...

ولو اكتفى بالقيامِ بها فأنعِمْ بالقيامِ بها وأكرِم... فإنها إلى مقامٍ محمودٍ سترفعه..

ولو اكْتفَى بتعلُّمِها وتعلُّمِ ما فيها، فَمَنْ مِثْلُه؟ وخزائنُ العلومِ فيها..

ولو استزاد أو قام بتعْليمها للآخرين ومضى يدعو الناس ويدخلُهم هذا البرنامجَ ويرعاهُ... فأيّ صدقةٍ جاريةٍ مثل هذه؟

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٧) عن عثمان بن عفان.

ومعَ هذا فما مِن أحدٍ حَفِظَ سورةَ البقرةِ إلا تألَّق بينَ عينيهِ الطموحُ لإتمامِ حفظِ القرآنِ، واستكمال الخير الذي بدأه بذلك المشروع المبارك.

فإنَّ الخيرَ يدفعُ للخير، والحسنة تدعو إلى الحسنة، وفي سورةِ البقرةِ خيرٌ عظيم... وإن بركتَها لا تَقِفُ عندَ حدٍّ، ولن تنقطع أبدًا.

ومِن بركتِها كلُّ هذا الاجتذابِ للخيراتِ الأخرى إليها، بما فيه حفظُ القرآنِ الكريمِ كاملًا.

تجاوز العقبة الرابعة:

أَخافُ أنْ أحفظَ سورةَ البقرةِ ثم أنساها،

فأَدخُلُ في العقابِ!

والجوابُ: هو أنّ هذا واحدٌ من مداخلِ الشيطانِ، ومداخلُ الشيطانِ لا تنتهي، ومَنْ ظَنَّ أنه ينبغي عليه أن يتتبَّع مداخل الشيطان ليرد عليها ويغلقها أولًا ثُمَّ يبتدئُ بما عزم عليه من خير، فإنه لن يبتدئَ، وظنّه هذا من الشيطانِ نعوذُ بالله منه، لأن الشيطانَ لن يتركَه أبدًا يلتقطُ أنفاسَه، بل لا يزالُ يُدخلُه مدخلًا جديدًا، ويظن أنه سوف يرد عليه وينتهي منه، وما أن ينتهي حتى يسرقَ قلبَه إلى مدخلٍ آخرَ، وهكذا يقضي حياتَه حتى ينقطعَ نَفَسُه، فيهلكَه، ولن يبتدئَ بمشروعهِ، نعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيمِ.

ولن يفتأَ الشيطانُ يصوِّرُ لإمامِ الصلاةِ أنه سوفَ يرائي في قراءتهِ بالمصلين.. ويعطيه الشيطانُ الحَلَّ وهو أن يتركَ الإمامة حتى يتحقَّقَ من إخلاصِه.. ومثلُ هذا لن يتحققَ لأنه لن يستطيعَ، ويصوِّرُ ذلك للخطيبِ، وللآمرِ بالمعروفِ والناهي عن المنكرِ، ويصوِّرُ ذلك للمنفقِ وللمجاهدِ، ولواصلِ رحمهِ، ولكلِّ مريدٍ سلوكَ سبيلٍ من سُبُلِ الخيرِ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الشيطانَ قَعَدَ لابنِ آدمَ بأطرقِه**»[١].

(١) تقدم تخريجه.

وليسَ للوسواسِ الخنَّاسِ ـ نعوذُ بالله منه ـ من علاجٍ قاطعٍ مثلُ استعاذة المؤمنِ باللهِ ربِّ العالمين من الشيطانِ الرجيم، ويبدأُ من فوره متوكلًا على اللهِ، واضعًا قدمَه الأولى على طريقِ مشروعِ الخيرِ، محسنًا الظنَّ بالله سبحانه، فما خَيَّبَ اللهُ ظنَّ عبدٍ أحسنَ الظنَّ به، كيفَ وعند المؤمنَ ضمانةُ التسهيلِ مِنَ الله سبحانه، فوقَ تسهيلِ القرآنِ الذاتيّ الذي جعلَه اللهُ ملازمًا للقرآنِ، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، وليسَ لمَن أرادَ الابتداءَ بهذا المشروعِ إلّا أن يتقدمَ موقنًا بتيسيرِ الله تعالى للقرآنِ مثبتًا أنه ﴿مُّدَّكِرٍ﴾.

إنَّ حُسْنَ الظنِّ باللهِ قد بَلغَ بأصحابِهِ مالمْ يدركْه أحدٌ من الناسِ، والنبيُّ ﷺ يروي عن ربه حديثًا عظيمًا قال: قال الله تعالى: «**أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكَرَنِي، فإن ذَكَرَنِي في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكَرَنِي في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منه، وإن تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا، وإن تقرَّبَ إليَّ ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرْولةً**»(١).

وما أَحسنَ انطباقَ هذا الحديثِ على طالبِ حفظِ سورةِ البقرةِ، فاللهُ سبحانه عندَ ظنِّ عبدِه به إذا عَزَمَ على حفظِها، فإذا ظَنَّ إعانةَ اللهِ له فليبْشُر بتيسيرِ كلِّ عسير، وتحقيقِ الغايةِ على أحسنِ وجه...

ثمّ إنه إما أن يقرأَها في سرِّه، أو يقرأها ويُسمعُ بها مَن يحفظُ معه أو شيخَه فأنتَ تتقلَّبُ بين حالين؛ إما أن يَذكرك الله تعالى في نفسهِ، أو يذكركَ في ملأٍ خيرٍ مِن ملئك، بلْ أنتَ جامعٌ للحالينِ معًا والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، فهل مِنْ تَقَلُّبٍ يَتَقَلَّبهُ العبدُ أحسنُ من هذا، ثم إن ضمانة التيسيرِ ملازمةٌ له ما دامَ في طريقهِ هذا،

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة.

وذلك لقوله ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[(١)]، وأيّ علمٍ أعلَى من القرآنِ الكريمِ، وأيّ مصدر قبل القرآن الكريم، وأي موضع فيه من علمٍ في القرآن الكريم -وكله علم- مثل ما في سورة البقرة؟! وأيّ سورة تفيض علمًا وقصصًا، وأوامرَ ونواهيَ وأخلاقًا وآدابًا، وأحكامًا وشرائع كسورة البقرة.

ابتدئ متوكلًا على اللهِ، واثقًا به، واعلم أن ما تراه من تخويفاتِ الشيطانِ مِن نسيانِ القرآنِ، إنما هو من التخذيلِ والتثبيط، لتقعدَ عن هذا المشروعِ الكبيرِ، والخوفُ كلَّ الخوفِ أن يستجيبَ العبدُ للشيطانِ، فيقعدَ ولا يبذلَ الأسباب ولا يتقدم، فإن المنافقينَ هم من يستجيبونَ لوساوسهِ ـ نعوذ باللهِ منه ـ وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥].

إن مخافتكَ من النسيانِ هي دليلُ إيمانِك إنِ ابتدأتَ بالحفظِ، وإلَّا فهيَ دليلُ استجابتِكَ لتخويفِ الشيطانِ، لأنَّ هذا هو مبتغاهُ وغايتُه ومناهُ، وقد حقَّقَها بانسحابِك.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) واللفظ له، وأحمد (٢١٧١٥) عن أبي الدرداء، وصححه الألباني.

فلتبدأْ، ولْيكنْ تخوفُك من النسيانِ سببًا لإتقانِ حفظِك، لكي لا تنساه أبدًا، وسببًا لصلاتِك بما تحفظُ كلَّ يوم، وسببًا في التزامِ برنامجِ المراجعةِ باستمرارٍ، وسببًا للمجاهدةِ في تثبيتِ المحفوظِ، وسببًا في كثرة قراءتك للقرآن حتى يرسخَ عندك، إلى أن تلقى اللهَ ﷻ...

فانظرْ بعدَ هذا كمْ حصدتَ في كلِّ خطوةٍ مما ذكرتُ لك من الأجورِ، وكلّ هذا بسببِ ذاك التخوُّفِ الإيجابيّ المباركِ.

ثم أيُّنا لَا يَنْسَى؟ هكذا خلقنا اللهُ سبحانه فهذا طَبعٌ ملازمٌ لنا، لكنْ علينا أن نجعلَ المدارسةَ والمعاهدةَ هي دواءُ النسيانِ، وقد قال النبي ﷺ: «**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»(١)، ولا يوجدُ حديثٌ واحدٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ يحذِّرُ المؤمنَ من حفظِ القرآنِ مخافةَ أن ينساهُ.. بل لا يوجدُ حديثٌ واحدٌ يذكرُ عقابًا على النسيان... نعم إنّ تعاهدَ القرآنِ واجبٌ، ولكنْ ماذا إذا طَرَأَ على الإنسانِ مرضٌ أو طرأَ عليه خَرَفٌ أو نسيانٌ؟

ماذا إذا غلبتْهُ ظروفٌ قاهرةٌ كالغربةِ القهريةِ؟ والمرضِ الشديدِ الطارئِ؟ والخرفِ المُنسي؟ ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وما إلى ذلك مما يذهلُه عن الحفظ.

فأما الوارد في العقاب على النسيان فلا يصح، ولو صح فالمقصود بالنسيان هو الانسلاخ من القرآن، وتناسيه أو الإعراض عنه، وهو كما قال الله سبحانه فيهم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وقال فيهم سبحانه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

(١) رواه مسلم (٧٩١) عن أبي موسى الأشعري.

إنَّ الخطَأَ لابدّ أن يقع فالإنسانُ خطَّاء، وإنَّ النسيان لابد أن يغلب أحيانًا وللنسيان دواؤُه، وإن العجزَ واردٌ، ولكن الله يعينُ عبده، ويغفرُ ذنبه، ويؤيده ويسندُه، ويسدِّدُه ولا يتركُه فريسةً للشيطانِ، وإذا ما عَجَزَ عفَا عنه، وقد صحَّ في الحديثِ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»(١)، وهذا في أموالِ الناسِ وحقوقِهم والتي هي أشدّ ما تكون وأخطر لأنَّ المساءلة في الآخرة عليها... فإنّ عفوَ اللهِ عن حقِّه أوْلى وهو العفوُّ الغفورُ سبحانه، وأنتَ ما أخذتَ كتابَ اللهِ وما أخذتَ سورةَ البقرةِ إلا وأنتَ تريدُ حفظَها، فاذا ما حفظْتها ومرتْ بك ظروفٌ قاهرةٌ فأُنسيتهَا أعانكَ الله على إعادتها وكانت إعادتُها أسهلَ بكثير من حفظِها أولَ مرّةٍ... فإذا أدركَه الموتُ وهو على هذا الحال وقد نَسِيهَا، أدَّى اللهُ عنه وحفظَ له أجرهَ كاملًا.

وما من أحد حفظَ القرآنَ إلا رفعهُ القرآنُ، وحماهُ من الشيطانِ وأصبحَ منارةَ علمٍ، ورايةَ هدًى، فَمضَى يؤدِّي زكاةَ ما حفظَ بتحفيظِ جيلٍ وأجيالٍ... وتمت رعايةُ كتابِ اللهِ وحفظِه بهذا وأمثالِه، وكانوا هم مناطَ تحقيقِ وعدِ اللهِ في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]...

أكانَ كلّ هذا سيتحققُ لو صدَّق طالبُ الحفظِ الشيطانَ في وساوسِهِ نعوذ بالله منه؟!

ولقد تخوَّفَ رجلٌ من حفظِ سورةِ البقرةِ أن لا يؤديهَا حقَّها ولمْ يتخوف من نسيانها فما عَذَرَه رسولُ اللهِ ﷺ وردَّ عليه تخوفَه وأصدرَ حُكْمًا عامًا لأمتِه ﷺ؛ فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ بعثًا، وهم ذو عَددٍ، فاستقرأهم،

(١) رواه البخاري (٢٣٨٧) عن أبي هريرة.

فاستقرأ كلَّ رجلٍ منهم ما معه من القرآنِ، فأتى على رجلٍ منهم ـ من أَحدثِهم سِنًّا ـ **فقال: ما معك يا فلانُ؟! قال: معي كذا وكذا، وسورةُ البقرةِ، قال: أمعك سورةَ البقرةِ؟!، فقال: نعم، قال:** فاذهبْ، فأنت أميرُهم، **فقال رجلٌ من أشرافهم: واللهِ يا رسولَ اللهِ! ما منعني أن أتعلَّمَ سورةَ البقرةِ، إلا خشيةَ ألا أقومَ بها؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: تعلَّموا القرآنَ، واقرؤوه، فإنَّ مثلَ القرآنِ لمن تعلَّمه، فقرأه وقام به، كمثلِ جرابٍ مَحشُوٍّ مِسْكًا، يَفُوحُ ريحُه في كلِّ مكانٍ، ومثلُ من تعلَّمَه، فيرقدُ، وهو في جوفِه، كمثلِ جرابٍ وُكِيَ على مِسكٍ)**[1].

فالرجلُ اعتذَرَ عن حفظِها بقوله: (ما منعني أن أتعلمَ سورةَ البقرة إلَّا خشيةَ ألَّا أقومَ بها) فكان جوابُ النبيِّ ﷺ: «**تعلموا القرآنَ**» فهو أعظمُ وأشملُ في الجوابِ، ثمّ أي الجرابين يختار الإنسان لنفسه؟.. لا تقل الجراب المُوكَى عليه، الذي لا ريحَ له، ولا فائدة منه.

فليسَ لكَ إلا أن تمتلئَ بسورةِ البقرةِ، ويفوح منك عبيرها وشذاها، فإنها كافيةٌ وافيةٌ لأنها طاردةٌ للشيطانِ من البيتِ كلهِ، فكيف لا تطردُ الشيطانَ من صدرٍ حَوَاهَا، ولأنها بركةٌ، فلسوفَ تعمُّ بركتُها بإذنِ اللهِ، وتجتذبُ إليها بقيةَ القرآن الكريم، لأنها الكبرى، وهكذا يتبعُ البقيةُ الأكبرَ في كلِّ شيءٍ.. ولسوفَ تلحقُها بقيةُ السورِ -بإذن الله- فتجتمعُ كلّ آياتِ اللهِ وسور القرآن الكريم في صدرِك، فإن لمْ يكنْ ذلك فوالله لن يتحسَّرَ مَنْ أَخذَ البركةَ، بل «**تركها حسرة**» كما قال النبي ﷺ.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٧٦)، وقال هذا حديث حسن.

تجاوز العقبة الخامسة:

عقبةُ كِبَرِ السِّنِّ

سيقولونَ لكَ: أَبعْدَ هذا العمرِ المديد تحاولُ حفظَ سورةِ البقرةِ؟!

قل لهم: إيْ واللهِ بعدَ هذا العمرِ.. فأنا أحوجُ ما أكونُ بعدَ هذا العمرِ إلى حفظِ سورةِ البقرةِ... فما فائدةُ العمرِ الطويلِ إن لم يحملْ في حصادهِ سورةَ البقرةِ... وإذا فاتَ ما فاتَ من العمرِ الطويلِ، فأنا اليومَ أعظمُ حاجةً، قبل أن ينفدَ المتبقِّي من العمرِ الطويلِ، ويحقّ الرحيلُ...

كيفَ وأنا أقدرُ اليومَ على أن أطيلَ العمرَ المتبقّي... فلِمَ لا أفعلُ..؟!

أليستْ سورةُ البقرةِ بركةً ومباركةً.؟ أليس (أخذها بركة)؟!

وماذا إذا دخلتِ البركةُ في عمري الباقي؟ أَلَا يطولُ ويكبُرُ ويعظُمُ ويطيبُ ويهنأُ..؟!

وهل أَحتاجُ أنا في عمري الباقي إلا لهذا... فكلُّ هذا وأكثرُ وأضعافُه في سورةِ البقرةِ، ألمْ يقل النبيُّ ﷺ: «**فإنَّ أخذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ**»؟

إنَّ كلَّ ما مرّ علينا وعلى من هو أكبرُ مِنَّا، ومرّ على مراكز تحفيظ القرآن الكريم، أثبتَ نجاحَ كبارِ السّنِّ العجيبَ في حفظِ سورةِ البقرةِ، على وجهِ الخصوصِ، وحفظِ القرآنِ الكريمِ على وجهِ العموم... إنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاءِ ـ كبار السن والكبيراتِ ـ لا يقدرُ على كتمانِ سعادتهِ بعدَما ابتدأَ الطريقَ، ومضتِ

الحصةُ الأولى بنجاحٍ، ثمّ الثانيةُ والثالثةُ والعاشرةُ.. فأصْبَحَتِ السعادةُ تغمرُهُ في كلِّ يومٍ، وأصبحَ يَسْعَدُ بكلِّ يومٍ جديدٍ، وهكَذَا شأنهُ في ليلهِ ونهارِهِ، وشعورُه يغمرُه فيردِّدُ دائمًا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

الحمدُ للهِ الذي مَدَّ لي بالحياةِ، حتى أذوقَ لذةَ حفظِ كلامهِ الكريمِ، وحفظِ سنامِ القرآنِ العظيمِ...

الحمدُ للهِ، فلقدْ أصبحتُ أستشعرُ عمري... أستشعرُ ليلَهُ ونهارَهُ.. وقد كانتِ الأيامُ تمضي بينَ يديَّ مثلَ الومضةِ مِنَ النار...

أَلَا يكفي ما ذَهَبَ من ساعاتِ ليلكَ ونهارِكَ هنا وهناكَ؟ وهيَ إن لمْ تُحسَبْ عليكَ فلن تُحسَبَ لكَ!

أَلَا ينبغي عليكَ أن تستعيدَها بعد ما سُلِبَتْ منكَ؟ وتُحَرِّرَهَا مِنَ الشيطانِ؟ ثم تطهِّرَها وتَعْمُرَهَا بما يطردُ الشيطانَ إلى الأبدِ فتحفظ سورةَ البقرةِ...؟

هذهِ واللهِ هي البركةُ الحقّةُ.

لسانُ مَنْ حفظَها قال ـ واللهِ ـ وسمعناه: الآنَ.. وأنا وإن كنتُ كبيرًا في هذا العمرِ -فمع سورة البقرة- أشعرُ بالشبابِ.. همةً وقوةً واقتدارًا، بلْ لسان حالي يقولُ: ألا إنَّ الشباب يعودُ يومًا، يوم يعودُ المرءُ لربه، ولكتابه، ولهذا المشروعِ المبارك، ألا فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

يا أيها الأَبُ وأيتُها الأُمّ، وأيها العمُّ والعمَّةُ، ويا أيها الأَخُ الكبيرُ والأختُ الكبيرةُ، لقد جاءكَ المشروعُ الذي يقولُ لكَ: أَمَا تريدُ صاحبًا لكَ اليومَ يباركُ

عُمُرك؟ حتى يكونَ عمرُكَ في عينِك أكبرَ وأطولَ من عمرِك الذي مَرَّ سريعًا مَهْمَا كانَ طويلًا!

لقد أَخَذَتْ منك الحياةُ ومطالبُها وأهواؤُها ما أَخَذَتْ، وها قد جاءتْك سورةُ البقرةِ تقولُ لك: أَمَا تريدُ الإمامةَ في الحياةِ؟ حتى وإن لَمْ تتقدمْ إمامًا في الصلاةِ؟!

أما تريدُ صاحبًا لكَ في القبر؟ يحوطُك من كلِّ جهاتِك، ويحميكَ مِنْ العذابِ، سواءً أتاك العذابُ من فوقِكَ، أو من تحتِكَ، أو من عندِ رأسِكَ، أو من عندِ رجليكَ، أو عن يمينِك، أو عن شمالِك؟!

أَمَا تريدُ لِسورةِ البقرةِ أَنْ تُحاجّ عنك... وإن قَصُرَ عملُك جَبرَتْ قصورَك، وباركَتْ كلَّ قليلٍ فأصبحَ كثيرًا....

وهل البركةُ إلا هذا، وما فائدةُ البركةِ في الدنيا وحدَها، إذا لَمْ تصلْ إلى مَوْطنِ الحاجةِ الأعظمِ، وهو الدارُ الآخرةُ؟.

ألَمْ يقلِ النبيُّ ﷺ: «**أخذها بركة، وتركها حسرة**»؟!

ألا أيها الأبُ وأيتها الأُمّ وأيها العمُّ والعمَّةُ ويا أيها الأَخُ الكبيرُ والأختُ الكبيرةُ: اتق كلَّ حسرةٍ تأتيك ـ من اليوم ـ بأخذِكَ سورةَ البقرةِ... فأمرُ القيامةِ جِدٌّ لا هزلَ فيه... وحسراتُها دائمةٌ لا انقطاعَ لها... فحوِّلْ حسراتِها إلى فوزٍ تحقّقُه لك سورةُ البقرةِ، في كلّ موطنٍ من مواطنِ الآخرةِ.

وفي الختام... اخطف الأجر

أيها الأبُ وأيتُها الأُمّ وأيها الأَخُ الكبيرُ، ويا كُلَّ مَن لا يستطيعُ الحفظ.. إياكَ أن تكونَ عائقًا دونَ ابتداء مشروع حفظ سورة البقرة، في بيتِك، أو معَ صاحبِك، أو في عملك، بل كن أحرصَ الناسِ على استيعابِ الفكرةِ، ونشرِها، والدعوةِ إليها، وقم برعاية من ابتدأ حتى يُتم.. ثم ينفر كما نفر الجنُّ بعدما استمعوا القرآن.. ليؤديَ حقَّ القرآن، ويغرس الصدقات الجاريات...

ولتعوِّض ما فاتكَ، فإن الدَّالَّ على الخيرِ كفاعلهِ، وكافلُ الحافظِ والداعيةِ والمجاهِد واليتيمِ له مثلُ أجورِهم، فكنْ أنتَ صاحبَ الفكرةِ، وحارسَها وكافلَها إلى أن تتمَّ، فيتمُّ اللهُ لك الأجرَ ويجمعهُ لكَ، حتى وإن لمْ تَحْفظْ لعدم قدرتك.

الخاتمة

أين أصحابُ العزائم...

بعدما وَضَحَ السبيلُ

الخاتمة

لا تَقُلْ بعدَ اليوم...!

أحسبُ أن الطريقَ إلى سورةِ البقرةِ أصبحتْ واضحةً، والحجةُ على كلِّ مَن يقدرُ على حفظِها ثمّ هو لا يحفظُها قد أصبحتْ بالغةً، فإنْ فاتتْه الخيراتُ وأقبلتْ عليه الحسراتُ فلا يلومنَّ إلا نفسَه!

لا تقلْ بعد اليومِ: إنَّ البيتَ بالشياطينِ مسكونٌ، والولد معيونٌ وممسوس، والرزق مُدْبِر، والعمر مقفر، والحظّ منحوسٌ...!

فكيفَ تقولُ هذا والوقايةُ والعلاجُ بينَ يديكَ، إنه مشروعُ حفظِك سورةَ البقرةِ، ألمْ يقل النبيُّ ﷺ: «**اقرؤوا سورة البقرة: فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة**»، وقال ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتَكم مقابَر، إنَّ الشيطانَ يَنْفِرُ من البيت الذي تُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ**»، وفي رواية «**وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ**»(١).

إيَّاكَ إن فاتَكَ حفظُ سورةِ البقرةِ أن تَنْعيَ نفسَك وتقولُ: إيماني لا يزيدُ، وعلمي لا يزيدُ، وتقربي إلى اللهِ يراوحُ في مكانهِ!

فهذهِ فرصةُ الارتقاءِ إلى الله تعالى، ليسَ درجةً ولا درجتين، ولا هي ترفعك إلى الوسط ولا إلى الثلثين وإنما لِأعلَى مقاماتِ الإيمانِ... وذلك لأن البقرةَ

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٨٩١٥)، وصحَّحه الألباني.

وحدَها (سنامُ القرآنِ)، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا، وَإِنَّ لُبَابَ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلُ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَتَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ أَصْغَرَ الْبُيُوتِ لَلْجَوْفُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ شَيْءٌ**»(١).

لا تقلْ بعدَ اليومِ أبنائي وبناتي فَلَتوا مِنِّي رَغْمًا عنِّي، وذهبوا مع هذهِ الأجهزةِ الحديثةِ، وما عادَ ثَمَّ جامعٌ في الأسرةِ يجمعُنا، ولا همٌّ مشتركٌ يهمُّنا... وإدارةُ الأسرةِ أصبحتْ من خارجِها ممن يُعْرَفون ومن لا يُعرفون!

فمشروعُ سورةِ البقرةِ هو مشروعُ الإنقاذِ، وهو مشروعُ عودةِ الأسرةِ إلى اللهِ... إلى برِّ الوالدينِ، إلى التعاونِ على البرِّ والتقوَى.. وقد مرَّتْ بكَ آنفًا طريقةُ الحفظِ الجماعيِّ، وهيَ في حقيقتِها طريقةُ حفظِ الأُسْرةِ، وحفظِ الأصدقاء، وحفظِ زملاءِ العملِ، وحفظِ الإخوةِ... فاجعلهْ مشروعَ حياةٍ، واجمعْ مَنْ حولَك حوله... راغبينَ متعاهدينَ، متواصينَ بالصبرِ حتى بلوغِ الغايةِ... وسوفَ تَرى أجواءَ الأسرةِ الجديدةِ كيفَ تصنعُ، وكيفَ تحكمُ وتتحكمُ، وكيف تتنفسون عَبَقَ الطهارةِ والأجرِ، من كلامِ اللهِ الكريمِ، وكيف تتنافسون وتتسابقون لنَيْل رضاه.

لا تقلْ بعدَ هذا المشروعِ ـ إن فاتكَ ـ إنَّ وقتنَا ليسَ فيه بركةٌ، وإن الأيام تمرُّ من غيرِ إنتاجٍ يُذكر، وإنَّ اليومَ يمرُّ في برامجِ الهواتفِ التي لا تسمِنُ ولا تُغني من جوعٍ، لا تعرفُ غثَّها مِن سَمينها...!

(١) مجمع الزوائد للهيثمي (١١٦٣٤)، وقال الهيثمي: فيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح.

فإنَّ النبيَّ ﷺ قد قال عن سورةِ البقرةِ: «**فإنَّ أخذَها بركةٌ**»، ومَنْ أصدقُ في الخليقةِ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ... فخذْ ما قالَ وأنتَ من الموقنينَ.. خذْ بما قالَ وسوف تُوَدِّعُكَ الحسراتُ إلى الأبدِ لقوله: «**وتركها حسرة**»، بل الحسرةُ إن تركتَ حفظَها وأنتَ قادرٌ.

في سورة البقرةِ العلمُ الذي يبلغُ بكَ سنامَ العلمِ، واللهُ ﷻ قال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فإنْ كنتَ قائدًا ففي سورةِ البقرةِ مَحضِنُ القادةِ وسنامُ القيادةِ، وإن كنتَ تريدُ أن تكونَ مُربِّيًا أو إمامًا للصلاةِ، أو اقتصاديًّا، أو قاضِيًا، أو داعيًا إلى اللهِ هاديًا مَهديًا، أو حارسًا أمينًا لأمتِكَ حافظًا لأمانتِك... ففي سورةِ البقرةِ سنامُ كلِّ ذلكَ وكله في سورة البقرة ظاهر، وما عليك إلَّا أن تَتَلَقَّفَ هذا العلمَ وتقطِفَ من ثمارِه، الدانيةِ المباركةِ، فاحفظْ فالحفظُ هو أساسُ ذلك.

وأخيرًا: فهلْ من أحدٍ من المؤمنينَ يستمعُ لهذهِ الدعوةِ في موقعِ ما على هذهِ الأرضِ، ثم لا يقطعُ لها الفيافي والقِفارَ، ويركبُ لها السهلَ والوعرَ، ويمضي إليها في الزمان حُقُبًا، وإن مَضَى كلُّ العمرِ... علّه يدركُ ساعة... يتشرَّفُ بها عمُره كلّه، ويختمُ بِها حياته، ويموتُ يومَ يموتُ موصوفًا بأنه «**أهل الله وخاصته**»، ويُبعثُ يومَ يبعثُ ورايتُه العاليةُ الواضحةُ «**أهل الله وخاصته**»، ويمرُّ بمواقفِ الحسابِ فيجوزُها سالمًا آمنًا.. شامخًا شاهقًا والجميعُ يتطلعُ إليهِ وإلى صحبه؛ فهؤلاءِ هم «**أهلُ اللهِ وخاصتُه**»، ويدخلُ الجنَّة ويرتقي معارجَها التي لا يحيطُ بها وصفُ الواصفينَ.. هو وصحبه لأن هذهِ هي جنة الله، وهؤلاء هم «**أهل الله وخاصته**».. **كم تُعَلِّمنا** سورةُ البقرةِ لكلِّ الحياةِ ولكلّ مواقفِها، ولكنّنا

حينَ يأتِي الموقف نَنْسَى أحيانًا بل يُنْسِينا الشيطانُ ـ نعوذ بالله منه ـ فليسَ لهذا مِن دواءٍ إلَّا أن نتعلمها، وأولُ التعلمِ حفظُها؛ حفظَ من يريدُ حفظَ علمِها بعدَ حفظِ حُروفها المباركات.

نَعَمْ ينُسينا الشيطانُ ـ لعنه الله ـ أنه هو العدوُّ، كما أَنسَى أَبانا آدمَ عليه السلام.. فيمرِّرُ كلَّ مشاريعهِ بصُوَرٍ مقبولةٍ بل مرغوبةٍ محبوبةٍ.. فكيف نَنْسى؟!

تُعَلِّمُنا سورةُ البقرةِ أنَّ اليهودَ هم شرُّ جندِ إبليسَ -نعوذُ بالله منه- وأن مرجعَ المنافقينِ في صفوفِ الأمةِ هم شياطينهم وهم اليهود: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤] فكيفَ نَنْسَى!؟

تعلمُنا سورةُ البقرةِ أن قوَّتَنا وعزَّتَنا في وحدتِنا كأمّةٍ واحدةٍ، إمامُها هذا القرآنُ الكريمُ وقائدُها رسولُ الله ﷺ ومَن يخلفُه بحقٍّ مِن بعدِه.. وأنَّ اللهَ سبحانه إذا أرادَ عذابَ أمةٍ تركَها تتمزَّقُ وتتحوَّلُ إلى دولٍ وفرقٍ، وقد جعلَ اللهُ اليهودَ في هذا مَثَلًا.. فكيفَ نَنْسَى؟!

تعلِّمُنا سورةُ البقرةِ أن العودةَ إلى الإمامةِ في العالمينِ تحتاجُ إلى بَذْلٍ وتضحيةٍ... ومخالفةِ المألوفِ، ومفارقةِ الأرض، والاستعلاء على ثقلها، والانطلاق لمواجهة العدوّ ومجاوزةِ النهرِ والبحرِ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ستجدُ أنَّ سورةَ البقرةِ **تُعَلِّمُنا** أنَّ محورَ الصراعِ سيكونُ على القبلةِ، وأن تغييرَ القبلةِ مِنَ المسجدِ الأقصى إلى الكعبةِ سيغيظ اليهود أيما إغاظة، وأن الحكمةَ الكُبرى الآنَ ظهرتْ، فلقد عَلِمَ اللهُ سبحانه أن اليهودَ سوفَ يحتلون القدسَ والأقصَى وأرضَ فلسطين المباركة... فأيّ صلاةٍ هذهِ لقبلةٍ في أحضانِ اليهودِ؟ ويُدنسُها اليهودُ ليلَ نهارَ؟ لولا أنَّ اللهَ سبحانه قد نزع منهم شرفَ استقبال قبلتهم، وحوَّلها إلى الكعبة، وأيُّ غَيْرَةٍ وكرامةٍ وحياةٍ لأمةٍ وهي تَتَّجِهُ لقبلةٍ بِيدِ أعدائهم، الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: ٦٤]، لكن الله رحِمَ هذهِ الأمةَ منذُ ذلكَ اليومِ لهذهِ الأيام فغيَّرَ القبلةَ رحمةً بنا نحن أهلَ هذا الزمانِ...

وأيّ دعوى تبقَى للأمةِ... بلْ أيّ وجودٍ للأمة لوْ أنَّ مركزَ عرشِها، وموقع رايتها، ومقر قيادتها الأعظم سقط بِيدِ عدوِّها؟!

ستجدُ أنّ ربَّنا... **يُعلِّمُنا** في سورةِ البقرةِ عِظَمَ شأنِ اللبنةِ الأولى للمجتمعِ، وهي الأُسرةُ... فهوَ سبحانه مَنْ يشرّعُ لها تشريعًا محكمًا ومفصَّلًا، في كلِّ شئونها، ولا يتركُ التشريع لسواهُ سبحانه، لأنها المجتمعُ الأصغُر، وهيَ لبنةُ المجتمعِ الأكبرُ.

ستجد أن الله ﷻ **يُعلِّمنا** في سورة البقرة أنَّ أخطَرَ المخاطرِ علينا هو الرِّبا، وأنّ الربا قاطعٌ للأمةِ عن ربِّها، بلْ إنه فوقَ ذلك، إنه حربٌ على اللهِ ورسولهِ ﷺ، وهو حربٌ مِنَ اللهِ ورسولِه على أمةِ الإسلامِ إنْ فعلتْ هذا... وبلعتْ الطُعمَ اليهوديّ... فسورةُ البقرةِ تقولُ ذلك، فما لكم نسيتُم؟!

ستجدُ في مشوارِ حفظِك أنَّ كلَّ مشوارِ الأمةِ، وكلَّ ما تحتاجُه الأمةُ اليومَ

موصوفٌ في سورةِ البقرةِ بدقةٍ... ولا أستطيع ذكرهَ في هذا الإجمالِ... إلّا أنَّ ختامَ البقرةِ ختامُ كل الرسالات، وثمرتها المباركة، كيف وختامها الكنز الذي سيفتحُه اللهُ... فيكون النصرُ لهذهِ الأمةِ وحدِها على كلِّ الأقوامِ الكافرين... لكنه نصرٌ يثمرُ تحققَ غايةِ المرسلين وهداية العالمين.

سورةُ البقرة.. عالَم ليس مثلَه عالم، وبحرٌ من كلماتِ الله التاماتِ، تَغيبُ فيه كل البحورُ، كما تذوبُ القطرة في البحر العظيم.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

المقدمة الأولى ٥

المقدمة الثانية ٩

الفصل الأول: بواعث الحافظين سنام القرآن ١٣

الباعث الأول لصُحبة سورة البقرة: تصبغ أصحابها بصبغتها، وتعرج بهم إلى مقاماتها ١٥

الباعث الثاني لصحبة سورة البقرة: أصحابها في الطريق الأقرب لأن يكونوا من أهل الله وخاصته..... ٢٠

الباعث الثالث لصحبة سورة البقرة: سورة البقرة؛ من جوف المصحف الطاهر.. إلى جوفك ليصبح طاهرًا ٢٤

الباعث الرابع لصحبة سورة البقرة: المنقذة لبيتك من أن يصبح مقبرة، والمطهرة له من الشياطين ٢٨

الباعث الخامس لصحبة سورة البقرة: صاحب سورة البقرة مبارك ٣٢

الباعث السادس لصحبة سورة البقرة: لا يتحسر صاحب سورة البقرة... ٤٣

الباعث السابع لصحبة سورة البقرة: آخذ سورة البقرة مقدَّم في الدنيا ٤٧

الباعث الثامن لصحبة سورة البقرة: آخذ البقرة مقدَّم في الدار الآخرة.... ٥٥

الباعث التاسع لصحبة سورة البقرة: حافظ البقرة في الحصن الحصين .. ٥٩

الباعث العاشر لصحبة سورة البقرة: كيف يزهر البيت وأهله بسورة البقرة ٦٢

الباعث الحادي عشر لصحبة سورة البقرة: حافظ البقرة منفرد في الذكر.. منفرد في الأجر ٦٦

الباعث الثاني عشر لصحبة سورة البقرة: إنها الحصن الأكبر من عذاب القبر .. ٧١

الباعث الثالث عشر: إنها الباعث الأكبر على حفظ القرآن كاملًا ٧٧

الباعث الرابع عشر لصحبة سورة البقرة: محبة وجه رسول الله الكريم، ومحبة قلبه الرؤوف الرحيم ﷺ ٨٠

الفصل الثاني: تجاوز كل عقبة ٩٣

المقدمة ٩٥

تجاوز العقبة الأول: وساوس الشيطان ٩٧

تجاوز العقبة الثانية: وردك أم حفظ سورة البقرة؟! ١٠١

تجاوز العقبة الثالثة: ختمات القرآن.. أم حفظ البقرة ١٠٧

تجاوز العقبة الرابعة: أخاف أن أحفظ سورة البقرة ثم أنساها، فأدخل في العقاب!..... ١١٢

تجاوز العقبة الخامسة: عقبة كِبَر السن ١١٨

الخاتمة: لا تقل بعد اليوم...! ١٢٥

الفهرس ١٣١